أوضاع المغرب الأوسط (دولة بني عبد الواد) نهاية ق15م وبداية ق16م

شهد المغرب الأوسط ممثلا في الدولة الزيانية أواخر القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر تدهورا على مختلف المستويات السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية، مما جعل الإسبان يستغلون هذه الأوضاع ليرسخوا أقدامهم ولينفذوا مشروعهم الاستعماري.

01- الأوضاع السياسية: استسلم أبو عبد الله محمد الثالث الملقب بـ (المتوكل على الله) (1462 ـ1485م) للحفصيين الذين أحكموا سيطرتهم على الناحية الشرقية وتوسعوا إلى المناطق الوسطى حيث استولوا على مدن مليانة والمدية وتنس، كما أصبحت الدولة الزيانية مطمعا للإسبان الذين استطاعوا استغلال الصراع الدائر بين أبو حمو الثالث (1503-1518م) وابن أخيه أبو زيان الثالث المدعو (المسعود) المخلوع والسجين، فدعموا يحي الثابتي أخ أبو زيان الثالث ضد عمه أبو حمو الثالث، فاستولى يحي على تنس بمساعدة الإسبان.[1]

تبدو دولة بني زيان خلال هذه الفترة قد أنهكتها الحروب الداخلية والصراعات المتواصلة سواء بين أبناء البيت الواحد من آل زيان أو مع القبائل الرافضة لسلطتهم والراغبة في الاستقلال، كقبائل مغراوة وتوجين ومليكش وحصين وغيرها، مما أدى إلى استنزاف خزينة الدولة في سبيل قمع هذه الثورات.[2]

02- الأوضاع العسكرية: عرف المغرب الأوسط في هذه الفترة ضعفا عسكريا كبيرا مقارنة مع ما بلغته أوروبا في تلك الفترة، فدولة بني زيان لم يكن لها أسطولا بحريا ولا جيشا مجهزا من ناحية العدة والعتاد، وكل ما كان لديها هو جيشا بريا مزودا بأسلحة تقليدية كالسيوف والبغال والجمال...، كما لم تكن تتوفر على التحصينات، ويعود ذلك إلى عدم الاستقرار الذي تميزت به دولة بني زيان سواء في ثوراتها المستمرة مع جيرانها أو مع المعارضة في الداخل مما لم يسمح لها بتكوين جيش قوي تعتمد عليه الدولة في رد غارات الجيران والإسبان وقمع الثورات الداخلية.[3]

---

[1]- الدراجي بوزياني: نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص205.

[2]- الدراجي بوزياني: المرجع السابق، ص205.

[3]- نفسه: ص273.

03–الأوضاع الاقتصادية: فقدت بلاد المغرب الأوسط أهميتها التجارية بالبحر الأبيض المتوسط باعتبارها همزة وصل بين السواحل والمناطق الصحراوية بفعل الاكتشافات الجغرافية الأوروبية للطرق والممرات الجديدة، وأدى عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي وغياب الأمن إلى هجرة الفلاحين لأراضيهم وقلة الإنتاج الزراعي وتوقفت الحركة التجارية الداخلية وتدهورت بالتالي الأوضاع الاقتصادية للبلاد.[4]

04– الأوضاع الاجتماعية: كان المغرب الأوسط أواخر القرن الخامس عشر 15م مقسما إلى إمارات قبلية وبطون وقبائل مختلفة ومتنوعة، فقد استقل بنو عبد الواد بتلمسان وضواحيها، أما بقية البلاد الوسطى والجنوبية فكانت مقسمة إلى إمارات قبلية عديدة ومشايخ كمشيخة مدينة الجزائر التي حكمها الثعالبة، وإمارة كوكو بجبال القبائل الكبرى وإمارات أخرى مستقلة كإمارة بني عباس ببلاد القبائل الصغرى، وبني المهلهل،وإمارة عائلة بوعكاز بجهات الحضنة وبلاد الزاب، بالإضافة إلى وجود العديد من القبائل العربية والبربرية، فمن القبائل العربية نجد قبيلة الثعالبة في سهل متيجة وقبيلتي الضحاك وعياد بجهة برج حمزة وقبيلة يزيد وحسين وعطاف وسويد في منطقة الهضاب وبني عبيد الله والمعاقيل في الناحية الغربية، ومن القبائل البربرية توجد زواوة وصنهاجة بجبال جرجرة ومغراوة وتوجين بجبال مليانة والونشريس إضافة إلى قبائل فطين وبني ميزاب في الهضاب والواحات،كما تواجد اللاجئون الأندلسيون وطائفة اليهود الذين ازداد توافدهم خلال القرن الخامس عشر 15م بفعل سقوط غرناطة ومطاردة الإسبان لهم.[5]

هذا التنوع والتشتت في التركيبة الاجتماعية في ظل غياب سلطة مركزية جعل البلاد تعيش اختلالا اجتماعيا صاحبه سوء الأحوال الصحية والمعاشية وتخربت أثناءه المدن وافتقرت الأرياف، فقد قتل العديد من الرجال بسبب الحروب وترملت النساء وانتشرت اللصوصية والظلم والغصب والأوبئة والمجاعات، هذا الأمر أدى إلى هجرة العديد من السكان سواء إلى المغرب الأقصى أو إلى تونس أو إلى البلاد العربية الأخرى، أو إلى المناطق الجبلية أو

---

[4]– عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، 2002، ج02، ص496.

[5]– أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص ص94، 95.

الداخلية البعيدة عن الصراعات، كما أدى ذلك أيضا إلى انعدام الأمن وعدم الاستقرار السياسي، فانتشرت الفوضى بين الناس في كل ميادين الحياة وفي مختلف أرجاء البلاد.[6]

كل هذه الأوضاع عجلت بسقوط الدولة الزيانية واستغل الإسبان ذلك ليحتلوا العديد من مدن المغرب الوسط نذكر منها:

05- الاحتلال الإسباني لسواحل المغرب الأوسط: خوفا من عودة الأندلسيين مرة أخرى قررت إسبانيا احتلال المدن الساحلية الإسلامية الواقعة في المنطقة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط بالنسبة إليهم عامة والمغرب الأوسط خاصة، ففي ظرف خمس سنوات من 1505م إلى 1510م بالنسبة للمغرب الأوسط احتلوا المرسى الكبير، وهران، أرزيو، مستغانم، شرشال، الجزائر، وبهذا فقد حقدت إسبانيا على هذه العدوة لحمايتها للاجئين الأندلسيين، ومساعدتها لثورات الموريسكيين في الأندلس.

أ- احتلال مدينة وهران والمرسى الكبير 1509م: عملت المملكة الإسبانية جاهدة على اختراق خط الدفاع الساحلي لبلاد المغرب بعد أن تمكنت من القضاء على مملكة غرناطة سنة 1492م فكانت خطتها قائمة على غزو سواحل شمال إفريقيا، من أجل تصفية النفوذ الإسلامي نهائيا من شبه الجزيرة الإيبيرية، وقد أسفر هذا الانتصار الذي حققه الملكان المسيحيان ضد المسلمين على انتعاش الروح الصليبية من جديد وتعقب الأندلسيين الذين التجأوا إلى موانئ شمال إفريقيا فبدأت إسبانيا بإنزال حملاتها على سواحل المغرب.[7]

يذكر المؤرخ محمد بن يوسف الزياني في كتابه "دليل الحيران" عن احتلال مدينة وهران من طرف الإسبان أنه جاء بعد إكمال فردناندو احتلال الأندلس فيقول: "ثم غزا فردينة المار بجيشه وهران في أوائل ربيع الثاني سنة 911هـ فملك برج المرسى، واستقروا به إلى سنة 914هـ دخلوا وهران وذلك في آخر شهر محرم، ويعود دخول الإسبان إلى وهران طمعا في خيراتها، لما رأوا فيها من تطور مس جميع جوانبها، وخاصة منها الجانب الاقتصادي والعمراني المتأثر بالحضارة الأندلسية، ذلك أنها شهدت في ظل السيطرة الزيانية والمرينية والحفصية

---

[6]- كورين شوفالييه: الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510- 1541، تر: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص06.

[7]- حنيفي هلايلي: المرجع السابق، ص123.

ومهاجري الأندلس نشاطا تجاريا وصناعيا واسعين، وزادت منازلها في هذه الفترة على ستة آلاف منزلا، وتعددت مساجدها وفنادقها ومدارسها وحماماتها ومبانيها العامة.

ب- احتلال بجاية 1510م: لم تكن بجاية بعيدة عن أحداث بلاد المغرب الأوسط، بل كانت تعتبر نفسها مسؤولة عن حماية ثغوره، وكان تدخلها المستميت من طرف سكانها وحكامها في الشأن الداخلي للمنطقة، وتدخلها في الشأن الخارجي بتكثيف الجهود لنصرة الأندلسيين سببا في توجه الإسبان لاحتلالها، فكانت ترى أن عليها مسؤولية الدفاع عن الأندلس، وحماية أهلها فكانت سفنهم الحربية تقوم بعمليات انتقامية لإخوانهم الأندلسيين، الذين التحق بعضهم بالمدينة هروبا من الضغوط التي كانوا يتعرضون لها في إسبانيا، وقد أصبح بعضهم يشارك في تلك العمليات، وكانت تلك المساعدات ذات أثر على احتلال المدينة، إذ كان الإسبان ينظرون إليها على أنها شوكة من شأنها أن تهدد مستقبل وجودهم بالمنطقة، فكانت بجاية الهدف الثاني بعد احتلال وهران بسنوات قليلة نظرا لأهمية المنطقة، ودورها السياسي والعسكري في بلاد المغرب الأوسط، وفي مساعدة الأندلسيين الفارين من الأندلس بعد سقوط غرناطة.[8]

ونظرا لأهمية المدينة فقد أعد لها الإسبان العدة لشن ضرباتهم ضدها إذ بذل الكاردينال "خيمينس" من المهمة والجهد في تجهيز الحملة نفس ما بذله في تجهيز حملتي وهران والمرسى الكبير، وأسند القيادة إلى بطرس النفاري "بدرو نافارو"، فأخذ يستعد تحت طي الكتمان حتى لا تتسرب أنباء المسيرة إلى بجاية، وامتطى صهوة أسطوله بالمرسى الكبير يوم 30 نوفمبر 1509م مدعيا العودة إلى إسبانيا، واتخذ طريقه فعلا صوب الشمال، وأرسى على جزائر الباليار الإسبانية فقضى بها شهر ديسمبر القاسي ذا الرياح المتقلبة، وجاءه المدد من إسبانيا إلى هناك، فنظم الحملة، ورتب تفاصيلها، ووضع على الأسطول الأمير "خيرو نيمو فيانلي".[9]

ج- احتلال عنابة: لما تمكن الإسبان من احتلال بجاية امتدت أيديهم نحو الشرق من بلاد المغرب الأوسط، فحاولت أن تقضي على مدينة ساحلية أخرى ألا وهي مدينة عنابة ذلك

---

[8]- عبد الرحيم عبد الرحمان عبد الرحيم: تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ط01، مطبعة الجبلاوي، القاهرة، 1979، ص24.

[9]- أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا 1492- 1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1968، ص108، 109.

أن القيادة الإسبانية المحكمة التي كانت تنفذ برنامجا دقيقا من أجل احتلال البلاد الساحلية قد أصبحت تضيق الدائرة وتقطف المدن الساحلية، فاحتلت مدينة عنابة الجميلة المتحضرة بعد مقاومة لا تكاد تذكر، وسلك فيها جندها ما كان يسلكه باستمرار في المدن التي يحتلها، وكان ذلك سنة 1510م.[10]

د- احتلال تلمسان ومعسكر: لما كانت تلمسان من أهم المدن الساحلية التي استقطبت العديد من الأندلسيين الفارين بدينهم وعقيدتهم وفكرهم إلى سواحل المغرب الأوسط، لم تسلم من هذا الاحتلال، وبالتالي نالت نصيبا منه، فتلمسان مدينة العلم والعلماء في العصر الزياني، ومنطقة للتبادل الثقافي بين المشرق والمغرب، ورابط حضاري بين المغرب والأندلس، فهجرة العلماء والمفكرين الأندلسيين إليها لم تعرف الانقطاع، ونظرا لهذه الصلة الوثيقة بين العدوتين كان لزاما على الإسبان احتلالها لقطع هذا الحبل باعتبارها أهم منطقة جلبت الأندلسيين إليها من جهة، وللقضاء على قوتها البحرية والاقتصادية من جهة أخرى، فتضررت الحضارة الزيانية من جراء هذا الاحتلال أيما تأثير فبعد أن وصل إلى تلمسان آخر أمراء بني الأحمر بغرناطة أبو عبد الله محمد بن سعد الزغل عبر وهران بدأت التهديدات الإسبانية تظهر في الأفق ضد تلمسان، واضطر الأمير الزياني محمد السابع أن يذهب بنفسه إلى إسبانيا ليطمئن فرديناند الخامس، ويقدم له الهدايا استرضاء له.[11]

هـ- احتلال مدينة الجزائر: عرفت صراعا كباقي المدن الأخرى مما هيأها لأن تكون من أولويات المدن في التعرض للاحتلال الأجنبي الإسباني بعد زوال ملك غرناطة بها، وقد كان لسقوطها دورا بارزا في استمرار التوسع على حساب الأراضي المغربية ومنها الجزائر التي كان من بين أسباب احتلالها موقعها الجغرافي الهام، وغناها الاقتصادي العظيم الذي جعل إسبانيا تفكر في احتلالها تعويضا للخسائر التي لحقت بها في حربها مع المسلمين في الأندلس.

ومن الأسباب التي دفعت إسبانيا إلى هذا الغزو، الدور الهائل الذي لعبه ولاة المغرب الأوسط، وتفانيهم في نصرة إخوانهم الأندلسيين الفارين بدينهم وعقيدتهم إلى الجزائر،وكان

---

[10]- نجيب دكاني: **الاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية وردود الفعل الجزائرية خلال القرن العاشر هجري 10هـ السادس عشر ميلادي 16م**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: ناصر الدين سعيدوني، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2001- 2002، ص28.

[11]- يحيى بوعزيز: علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا 1500- 1830، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ص ص11، 12.

الجهاد البحري في شمال إفريقيا قد لفت أنظار أوروبا المسيحية، ولاسيما مجاهدي الجزائر الذين وجهوا نشاطهم ضد السفن الأوروبية، وسببوا الكثير من المتاعب للدول الأوروبية المواجهة للبحر الأبيض المتوسط، حيث نقلوا معهم الكثير من الأسرى والغنائم، وتكفلوا بعمليات إنقاذ مسلمي الأندلس من محنتهم، مما شغل الكثير من المؤسسات الدينية والعسكرية والسياسية الأوروبية، وعليه كان للقائدين البحريين عروج وخير الدين دور فيهذا الجهاد، وكانت إسبانيا تنوي التخلص منهما، وسعت إلى ذلك بكل الطرق والمكائد والدسائس، وقد ساء أعمال هذين القائدين ملوك إسبانيا الذين اعتبروها قرصنة بحرية، في حين اعتبرها بعض الدارسين أنها نوع من الجهاد البحري.[12]

[12]– حنيفي هلايلي: أبحاث ودراسات في التاريخ الأندلسي والمورسكي، دار الهدى، الجزائر، 2010، ص20.

إلحاق المغرب الأوسط بالدولة العثمانية (جهود الإخوة بربروس)

مقدمة

في الشرق من المتوسط كانت هناك قوة إسلامية نافذة وهي الدولة العثمانية التي زاد نشاطها البحري وتصادمت مع القوى المسيحية خلال تقديمها الدعم لمسلمي الأندلس الفارين من جحيم القتل والتشريد والإكراه الذي تقوم به محاكم التفتيش، وفي هذه الظروف والمحن ظهر الإخوة"بربروس" الذين ذاع صيتهم بين المسلمين في غرب المتوسط ومساعدتهم للأندلسيين وخاصة لما استقروا في جزيرة جربة التونسية، ثم منحهم السلطان "محمد الحفصي" ميناء حلق الوادي مقابل خمس الغنائم والذي اتخذوا منه مركزا لغزو السفن والمدن المسيحية.

01–أصل الاخوة بربروس: مما يذكر عنهم أنهم من صحراء الأناضول، انتقل أبوهم إلى جزيرة مديللي أو مديلّي ضمن الجيش العثماني واستقر فيها، وقد فتح هذه الجزيرة محمد الفاتح سنة 866 هـ/ 1462م،[1]وترك فيها حامية من جنوده منهم واحدا اسمه يعقوب، الذي تزوج بإحدى الذميات فأنجبت له أربعة أولاد وهم: إسحاق، عروج، خير الدين وإلياس.[2]

02– ظهور الإخوة بربروس: اشتغل الأخوان خير الدين وعروج أول أمرهما بالتجارة البحرية، وفي إحدى سفرات عروج إلى طرابلس الشام اعترضت سفينته سفن تابعة لجنود جزيرة رودس واستولت عليها، وأسرت عروج واستشهد أخاه إلياس[3]، فكان هذا الحادث تحولا في حياة عروج، وبعدما تخلص من الأسر اتجه إلى القرصنة والانتقام من سفن رودس النصرانية، ثم أخذ أمره يقوى شيئا فشيئا حتى وصل جزيرة جربة[4]،وجاء خير الدين أيضا إلى جزيرة جربة حيث التقى بأخيه عروج، بعد أن قدما هدية إلى سلطانها أبي عبد الله، وواصل

---

[1]– محمد العروسي المطوي: السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986، ص671.

[2]– مؤلف مجهول: سيرة المجاهد خير الدين بربروس في الجزائر، تح وتق وتع: عبد الله حمادي، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2009، ص48.

[3]– مؤلف مجهول: مذكرات خير الدين بربروس، المصدر السابق، ص23.

[4]– محمد دراج: المرجع السابق، ص ص182، 183.

الإخوة نشاطهم البحري، واكتسبوا شهرة كبيرة في حوض البحر الأبيض المتوسط؛ بفضل الشجاعة التي كانوا يتميزون بها، والتي أظهروها في نشاطهم ضد السواحل الإيطالية خاصة، فقد تمكنوا من الاستيلاء على ثلاث سفن محملة بالغنائم، بعد رحلة دامت عشرين يوما، ثم عادوا بها إلى تونس، ووزعوا جزءا هاما منها على فقراء المدينة.[5]

03- استقرار عروج وخير الدين في تونس: بعد اتصال الأخوين عروج وخير الدين بالسلطان الحفصي أبو عبد الله سنة 1504م أباح لهما الإقامة في أي ميناء يريانه مناسبا لهما، واتفق معهما أن يكون له الخمس مما يستوليان عليه من غنائم النصارى، وكان السلطان الحفصي يترقب منهما زيادة على ذلك أن يحدثا هيبة لدولته وحماية سواحله نظرا لما يتمتع به الأخوان من كفاءة حربية، فكانا يقيمان الشتاء في تونس ويخرجان بداية الربيع في جولاتهما البحرية، كما كانت تدفع السلطان الحفصي رغبة استعادة ما افتكه الإسبان من أراضيه في الجهة الغربية.[6]

إذا كانت موانئ السلطنة الحفصية هي التي تدعمت في أحواضها القوة البحرية للأخوين عروج وخير الدين، وقد شجعتهما انتصاراتهما البحرية على التقدم والتوغل في عرض البحار إلى السواحل الإسبانية، ولهذا استطاع عروج وخير الدين أن يقدما على تخليص الموانئ الجزائرية من الاحتلال الإسباني وأن ينقذا الكثير من الثوار المسلمين بالأندلس من الأسر والقهر ويأتوا بهم إلى شمال إفريقيا.[7]

04- جهود الإخوة بربروس في تحرير المدن الساحلية:

أ- المحاولة الأولى لتحرير مدينة بجاية 1512م: لجأ الإخوة بربروس إلى سواحل بجاية بعد أن أجبرتهم الرياح على ذلك، لذلك تم إرسال السفن الإسبانية للقضاء عليهم، فرأى الإخوة

---

[5]- مجهول: غزوات عروج وخير الدين، تح وتق وتع: نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1934، ص15.

[6]- أحمد بن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ط2، المطبعة الأساسية بن عروس، تونس،1977، ج 02، ص10.

[7]- محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص675.

أن الاشتباك مع الإسبان قرب السواحل فيه خطورة وقرروا الابتعاد عنها، فظن الإسبان أن العثمانيين يريدون الفرار فطاردوهم وأدركوهم بعيدا عن الساحل، عندها أعطى الإخوة الأوامر بشن هجوم معاكس على السفن الإسبانية استولوا خلالها على ثلاث سفن ولاذت البقية بالفرار واحتمت بميناء بجاية، فشرعت الحامية الإسبانية في قصف عروج ومن معه مما أدى إلى سقوط ستين شهيدا إضافة إلى عدد كبير من الجرحى، لما رأى خير الدين ذلك أصدر أوامره بالانسحاب إلى تونس.[8]

ب–تحرير جيجل: بدأ الإخوة بربروس من جيجل التي حرروها من الجنويين عام1514م التي كانوا يحتلونها منذ سنة 1260م وجعلوا منها قاعدة لأسطولهم واستقروا فيها، وأصبحت أول قاعدة لهم، وكان ظهور الإخوة هناك بالاستيلاء على سفينة صقلية ممتلئة بالقمح.[9]

ج– المحاولة الثانية لتحرير بجاية 1514م: كان الأخوان عروج وخير الدين يدركان أن تحرير بجاية سوف يؤدي إلى إنهاء الاحتلال الإسباني للشرق الجزائري كله وقطع خطوط مواصلات القوات الإسبانية بين طرفيها الشرقي والغربي، ويؤمن السواحل الجزائرية الشرقية والتونسية من القراصنة ووصل وفد من أعيان وأشراف بجاية يحملون إليهما كتابا يطلبون فيه تخليصهم من ظلم الإسبان، وهكذا قام الأخوان بتجهيز اثنتي عشرة سفينة حربية على متنها الفين جنديا من البحارة يساندهم عشرين ألف من رجال القبائل، وبدأ الهجوم على القلعة الخارجية التي استولوا عليها بعد أربعة أيام وقضوا على جميع أفراد الحامية الإسبانية وأسروا 500منهم، بعد ذلك حاصروا القلعة الداخلية وقصفوها مدة عشرين يوما الى أن نفذ منهم البارود واستعانوا بسلطان تونس الذي خذلهم وتجاهل طلبهم[10]، إضافة إلى وصول 100

---

[8]– محمد خير فارس: تاريخ الجزائر الحديث، ط01، مكتبة دار الشرق، بيروت، 1969، ص24.

[9]– جون. ب. وولف: المصدر السابق ، ص30.

[10]– محمد العروسي المطوي: المرجع السابق، ص678.

قطعة بحرية إلى سواحل بجاية على متنها حوالي 10000جنديا إسبانيا لذا قرر عروج رفع الحصار وسحب قواته إلى جيجل.[11]

د- المحاولة الأولى لتحرير قلعة البنيون: عندما بلغ أهالي مدينة الجزائر نبأ موت فرديناند سنة 1516م نقضوا المعاهدة المفروضة عليهم وامتنعوا عن دفع الجزية، وأرسلوا إلى عروج بجيجل يستدعونه لطرد الإسبان رغم معارضة سالم التومي، الذي لم يتردد في قبول الدعوة حيث أعد 16 سفينة وأرسلها مع نصف جنوده بحرا وأما النصف المتبقي فقد توجه برا إلى مدينة الجزائر، وفي الطريق انضم إليه 5000 من رجال القبائل وحينما وصل إلى مدينة الجزائر توجه إلى قلعة شرشال التي تبعد عن المدينة بحوالي 150 كلم ففتحها وترك بها حامية ثم عاد إلى الجزائر فدخلها.[12]

هـ- القضاء على تمرد الشيخ سالم التومي: كان سالم التومي قد عارض استدعاء الإخوة بربروس لتحرير مدينة الجزائر لكنه اضطر إلى القبول تحت ضغط الأعيان عليه ، لذا قاد أول حركة تمرد ضد الوجود العثماني لأن ذلك يفقده رئاسة مدينة الجزائر فسارع إلى استغلال الفشل في الاستيلاء على حصن البنيون ومعاملة الجنود الأتراك للجزائريين مما أثار موجة عارمة من التذمر والسخط، فشرع هو ومن والاه من الأعيان الساخطين في إثارة العامة على العثمانيين، عندها اتخذ عروج موقفا سريعا وأمر بإعدامه بعده بايعه أعيان المدينة وعلماؤها سلطانا على الجزائر.[13]

و- الحملة الإسبانية الأولى لاستعادة مدينة الجزائر 1516م: أزعج الإسبان مبايعة عروج سلطانا على الجزائر فقرروا توجيه ضربة حاسمة تستأصل الخطر العثماني قبل أن يستفحل أمره، فسارع يحي بن سالم التومي إلى الإسبان بوهران طالبا منهم التدخل لطرد الأتراك والانتقام لأبيه منهم، فلم يتأخروا وسارعوا في الاستعداد لغزو الجزائر بعد الاتفاق مع أمير

---

[11]- أحمد بن أبي الضياف: المصدر السابق، ص11.

[12]- محمد دراج: المرجع السابق، ص261.

[13]- كورين شوفاليه: المصدر السابق، ص30.

تنس والتحالف مع قبيلة الثعالبة في سهل متيجة يساندهم الإسبان المتحصنون في قلعة البنيون، كما وجه حاكم تلمسان دعوة رسمية إلى الملك الإسباني يلتمس منه العون، فأرسلت 35 سفينة تحمل 15000 جنديا وعندما وصلت هذه القوات تصدى لها العثمانيون والأندلسيون تساندهم بعض القبائل وأهالي المدينة، فاضطر الإسبان إلى الانسحاب بعد أن خلفوا وراءهم آلاف من القتلى.[14]

ز- رد الحملة الإسبانية الثانية على الجزائر:كانت في نفس السنة (1516)، خلفت 2700 أسيرا وعددا لا يحصى من القتلى.

ك- تحرير قلعة تنس 1518م: عندما وصل خير الدين إلى سواحل تنس لجأ الإسبان إلى القلعة متحصنين بها فاستولى على المدينة وضرب حصانا على القلعة.

ل- تحرير تلمسان: لم يستقر المقام بالأخوين في تنس حتى جاءهما وفد من مدينة تلمسان يطلب من عروج المساعدة للقضاء على السلطان أبي حمو الثالث الذي استولى على عرش ابن أخيه أبي زيان الذي تحالف مع الإسبان وأثقل عليهم بالضرائب، فلبى النداء وسلك الطريق الواقعة شرق وهران، وعندما وصل إلى قلعة بني راشد وضع عليها حامية تضم 600مقاتلا تحت قيادة أخيه إسحاق واعترضت طريقه قوات أبي حمو موسى الثالث التي انهزمت أمامه وفر إلى فاس ومنها إلى الحامية الإسبانية بوهران عندها دخل تلمسان ونصب أبى زيان أميرا عليها والذي أعلن تمرده مما أجبره على قتله وأعلن نفسه حاكما على تلمسان.

جمع أبو حمو أشتات قواته ودعمته الحامية الإسبانية بوهران بقوة عسكرية بلغ عددها عشرة آلاف (10000) جنديا وساروا نحو قلعة بني راشد وتمكنوا منها وقتلوا الحامية التركية بها، وحاصروا تلمسان مدة ستة أشهر سقطت خلالها في يد الإسبان، فر عروج ولاحقه

---

[14]- نجيب دكاني: المرجع السابق، ص54.

الإسبان ودارت معركة بينهم بالوادي المالح بنواحي عين تموشنت استشهد خلالها عروج في شهر ماي 1518م.[15]

[15]- شوقي عطا الله الجمل: المرجع السابق، ص ص96، 97.

المحاضرة السابعة:

التركيبة السكانية للمجتمع الجزائري خلال العهد العثماني

اختلفت الروايات المتعلقة بإحصاء سكان الجزائر أواخر العهد العثماني حيث يذكر حمدان بن عثمان خوجة في كتابه المرآة أن عدد سكان إيالة الجزائر قدر بعشرة ملايين نسمة غير أن الإحصائيات الفرنسية تنفي هذا الرقم نفيا قاطعا وتعتبره ضخم جدا، ويذهب بعض المؤرخين إلى القول بأن عدد السكان في الجزائر كان حوالي ثلاثة ملايين نسمة ويبدو هذا الرقم معقولا باعتباره رقما تقريبيا. وهم موزعين على المدن والأرياف حيث تعيش غالبية هؤلاء السكان في الأرياف أما المدن فتستقطب فئة قليلة لا تتعدى ٥% من مجموع السكان.

وقد عرفت التركيبة السكانية لمدينة الجزائر تغيرات واضحة إذ أصبحت تتميز بتنوع أجناسها وتعددها نوضحها في النقاط الآتية:

أ- سكان المدن (الحضر): تتكون هذه الفئة من مجموع الأقليات السكانية ومن أهم فئاتها نجد:

١- الأقلية التركية: تأتي هذه الفئة في أعلى السلم الاجتماعي تتمركز في المدن الكبرى والبايلكات عددهم قليل جدا، يتميزون بالقوة والنفوذ الواسع في البلاد من خلال هيمنتهم العسكرية والسياسية في ايالة الجزائر، كانت معظم وظائف الدولة من نصيبها فهم الطبقة الحاكمة وأعضاء من فرق الإنكشارية كما كان منهم أعضاء في الديوان.

اختلفت أصولهم وأجناسهم ففيهم القادمين من الديار التركية خاصة منطقة الأناضول أو تركيا الأسيوية، أغلبهم من فرق رياس البحر. وفيهم أتراك أوروبا

الذين اعتنقوا الإسلام (الأعلاج) وهم أكثر عددا من الأتراك الأصليين.

فرغم اختلاف أصولهم وأجناسهم إلا أنهم شكلوا مجموعة واحدة متميزة بلغتها التركية ومذهبها الحنفي. كما تخضع لنظام قضائي خاص،لها امتيازات خاصة يرتدون ثيابا مطرزة بالذهب ويحملون السلاح ويعزفون عن خدمة الأرض وكان معظمهم يفضل كسب عيشه من المرتبات التي يحصلون عليها من خزينة الدولة أو من إيجار المحلات أو البساتين التي يملكونها في المناطق التي يقيمون فيها.

وظلت الأقلية التركية قليلة العدد حيث لم يتجاوز عدد أفرادها أواخر القرن ١٦ عشرة آلاف نسمة ولم يزد في الربع الأول من القرن ١٧م عن ١٢ ألف وظل العدد ثابت تقريبا حتى أوائل القرن ١٩م، فرغم طول الفترة التي قضاها الأتراك في الجزائر والتجائهم إلى استقدام جماعات تركية أخرى من وقت لأخر للانضمام إلى فرق الجيش الإنكشاري إلا أن عددهم بقي قليلا وهذا راجع إلى حالة العزوبة التي كان يعيشها أغلب أفراد الجيش التركي هذا بالإضافة إلى انتشار بعض الأمراض والأوبئةالتي كانت تظهر عادة على السفن التي تنقل المجموعات المتطوعة والقادمة من بلاد الأناضول.

٢- **فئة الكراغلة:** يعود ظهور الكراغلة كفئة اجتماعية إلى بداية العهد العثماني عقب سماح خير الدين بربروسللإنكشارية بالزواج بعدما كان رافضا لهذه الفكرة، وقد نتج عن زواج بعض عناصر الجيش الإنكشاري من نساء جزائريات أطفالا عرفوا بالكراغلة أي أبناء الإنكشارية ظهرت لأول مرة في المدن الكبرى التي تمركزت بها الحاميات التركية كالجزائر، تلمسان، مستغانم، مازونة، بجاية...، تعتبر ثاني أكبر الفئات السكانية في الجزائر بعد الأتراك

فأصبحوا يشكلون غالبية السكان حيث وصل عددهم نهاية القرن ١٨م في مدينة الجزائر حوالي ٦٠٠٠ ن، وكان أول كرغلي بالجزائر هو حسن بن خير الدين بربروس من ابنة أحمد ابن القاضي زعيم مملكة كوكو البربرية.

كان الكراغلة يرغبون في التمتع بامتيازات آبائهم، غير أنه تم إقصائهم من المناصب الحساسة وظلوا مهمشين من طرف الحكام العثمانيين. وذلك خوفامن سيطرتهم على شؤون البلاد، خاصة وأن لهم قرابة من الأهالي (أخوالهم) هذا بالإضافة إلى ارتباطهم بالبلاد. فكانوا قادرين على تكوين حلف وطني يهدد امتيازات الفئة التركية لذلك كان الحكام يتوخون الحذر منهم ويقفون أمام توليهم مناصب سامية سواء في الجيش أو الإدارة. كما منعوهم من الانخراط في الديوان وهو الامر الذي استاء له الكراغلة ودفعهم إلى تنظيم انقلاب عسكري ١٦٣٠ بهدف الاستيلاء على الحكم غير أن محاولاتهم باءت بالفشل الذريع وانجر عن ذلك مقتل عدد كبير منهم ونفي بعضهم خارج مدينة الجزائر، وبقي الكراغلة يترقبون فرصة الثأر من خصومهم حتى جاءت فترة حكم حسين باشا فأعلنوا الثورة ضده نتيجة عجزه عن دفع مرتبات الجند فتسللوا إلى المدينة وحاولوا محاصرة القلعة مما تسبب في انفجار مخزن البارود الموجود بالقلعة التي كانت في أيدي الثوار. فوضع ذلك حدا للثورة وانجر عن ذلك مقتل عدد معتبر منهم فأجبروا على الانسحاب وبقي الكراغلة في عزلة مجردين من حقوقهم وامتيازاتهم حتى جاءت فترة حكم الأغوات خاصة فترة حكم شعبان أغا (١٦٦١-١٦٦٥) الذي انتهج سياسة الترضية لهذه الفئة وأصدر قرار ينص على ضرورة معاملة الكراغلة كبقية العناصر التركية وسمح لهم بحق الانتساب للأوجاق، غير أن هذا الانتساب لم يصل إلى حد المشاركة الفعالة في الجيش

والإدارة أو الوصول إلى السلطة كمسؤولين كما تم إصدار وثيقة عهد الأمان تم فيها استيعاب فئة الكراغلة.

لقد كان لسياسة الترضية والتقارب التي انتهجها الأتراك أثر سيئفي العلاقة القائمة بين الكراغلة والأهالي، إذ أصبح الجزائري ينظر إلى الكرغلي نظرة شبيهة بنظرته للسادة الأتراك الحاكمين.

كما سمح الحاج شعبان داي لفئة الكراغلة عام ١٦٩٣ بالتجنيد والتسجيل ضمن قوات الإنكشارية وذلك لحاجة البلاد إلى أعداد إضافية من الجنود ولتأخر وصول مجندين جدد من الأناضول وجاء ذلك أيضا بعد الوباء الكبير الذي شهدته الجزائر ما بين (١٦٤٨-١٦٥٠) الذي أودى بحياة عدد كبير من السكان من ضمنهم أعضاء من فرق الإنكشارية.

لقد كان الاعتماد على فئة الكراغلةكفرقة عسكرية أكثر من ضرورة خاصة على مستوى البايلكات الثلاثة باستثناء دار السلطانالتي كان عدد الأتراك بها كافيا لتغطية معظم الحاجيات. لذلك تولت هذه الفئة مناصب سامية بعد تحسن العلاقات بينها وبين السلطة الحاكمة حيث أسندت لهم بعض الوظائف على مستوى الإدارة المركزية والمحلية وقد احتلوا منصب الباي لذلك نجد قد تولى الكرغلي مصطفى العمر (١٦٣٦-١٦٤٨) بايلك الغرب والكرغلي محمد الذباح (١٦٠٨-١٦٧١) بايلكتيطري، وأحمد باي بايلك الشرق (١٨٢٦-١٨٣٧).

وبهذا يكون الكراغلة قد تقلدوا مناصب عدة بالإيالة الجزائرية منها العسكرية والإدارية وحتى الاقتصادية من خلال اهتمامهم بالصناعة التقليدية والحرفية كما مارسوا التجارة بنوعيها الداخلية والخارجية.

٣- **طبقة الحضر**:تتكون من العائلات الحضرية المتأصلة بالبلاد ومن

مهاجري الأندلس الذين استقروا في بعض المدن الجزائرية بعد تعرضهم للاضطهاد الإسباني في الأندلس عام ١٦١٠، وهم الذين وفدوا إلى الجزائر بعد سقوط غرناطة عام ١٤٩٢ آخر معقل من معاقل الأندلس في يد النصارى الإسبان حيث حل بمعظم المدن الساحلية الجزائرية عدد كبير من المهاجرين الأندلسيين الفارين من اضطهاد الإسبان الذين استولوا على أملاكهم وديارهم وهددوهم في عقيدتهم ولغتهم، حيث لقيت اهتمام كبير من طرف الحكام وحظيت برضا الأهالي وتعاطفهم وقد استمرت موجات الهجرة بنسائهم وأطفالهم بعد ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية وتزايد عددهم بشكل كبير في الربع الأخير من القرن ١٦م وقد واجهوا في البداية مشاكل عدة منها مشكلة الفقر، لذلك أنشأت لهم أحباسا عرفت بأوقاف الأندلس.

ومن أشهر المدن التي حلوا بها هي شرشال، تنس، مستغانم، الجزائر، دلس، بجاية وعنابة، فوجد هؤلاء المهاجرون في الجزائر أرضا كأرضهم وأهلا كأهلهم فاستوطنوا وأسهموا في جميع مجالات الحياةكمضاعفة الكفاح ضد الإسبان في البحر والثغور دفاعا عن النفس، بالإضافة إلى نشر أنماط حضارتهم بين الجزائريين فتطور بذلك فن العمارة والموسيقى والطب.كما مثلوا عاملا إيجابيا في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ومارسوا عدة أنشطة تجارية وحرفية ووظفوا فيها مهاراتهم وخبراتهم. اهتموا أيضا بصناعة النسيج والملابس وحياكتها ودباغة الجلود وصناعة الشاشية والأنسجة الحريرية. كما كان لهم نصيب في الحياة الثقافية حيث أدخلوا مناهج جديدة في التعليم وتفننوا في صناعة الكتب والورق.

وقد تمركزت الجالية الأندلسية في بعض المدن مثل شرشال، البليدةوالقليعة

وأعادوا بناء عدد مهم من دورها ووزعوا الأراضي فيما بينهم كما صنعوا الكثير من السفن للملاحة وأدخلوا مزروعات جديدة كالقطن بمستغانم وعنابة، والمعروف عن هذه الفئة أنها لم تطمح في الارتقاء إلى مناصب في القضاء والإفتاء والكتابة. وهكذا أصبح الأندلسيون يشكلون عنصرا مهما وبارزا في الجزائر وأضافوا الكثير بذكائهومومهاراتهم وعلمهم وصنائعهم فاستفادت الجزائر منهم خير استفادة.

٤- **فئة البرانية:** تتشكل هذه الفئة من أناس جاؤوا من مناطق داخلية (أرياف) وهي تنتمي لعدة مناطق تنسب إليها منها الميزابيونوالبسكريون والقبائليون والجيجليونوالأغواطيون، حيث قصدوا مدينة الجزائر إما للعمل ثم العودة إلى أوطانهم الأصلية بعد جمع بعض النقود أو لقضاء فترة من الراحة علما بأنهم كانوا يتوجهون إلى الجزائر دون عائلاتهم وقد امتهنوا عدة مهن وقاموا بنشاطات مختلفة خلال العهد العثماني.

١-**الميزابيون:** ينتمي هؤلاء إلى منطقة وادي ميزاب الذي يحده شمالا جبال الأطلس الصحراوي ومن الغرب والجنوب الغربي قورارة وتوات ومن الجنوب الأهقاروالطاسيلي ومن الشرق الحمادة الحمراء ومنطقة غدامس.

كانت هجرة الميزابين إلى المدن الشمالية لاسيما مدينة الجزائر منتظمة وهي ضرورية من أجل العمل فهي الوسيلة الوحيدة للكسب العائلي، وقد عاش هؤلاء الأفراد في انغلاق على أنفسهم لكنهم كانوا أكثر الطوائف البرانية تعاونا وتضامنا فيما بينهم.تعود سنة وصول بني ميزاب على مدينة الجزائر إلى بداية القرن ١٦م. فمنذ أن تقلد العثمانيون مقاليد الحكم بالجزائر كان إباضية الجزائر بوادي ميزاب مستقلين عن أي حكم أو دولة في تسيير شؤونهم الداخلية والتي

كان يتولاها مجلس العزابة ومختلف هياكله الاجتماعية والدينية التي تدير شؤون المجتمع الميزابي. وقد فكر الميزابيون مليا في بقائهم منعزلين في صحرائهم يترقبون تطور الأحداث ووصول الدولة العثمانية إليهم أو بناء علاقات طيبة معهم، وقد وقع نقاش حول طريقة التعامل مع الإدارة العثمانية والحكم العثماني في الجزائر وتم الاتفاق على عقد معاهدة حماية أو دفاع مع السلطة العثمانية بالعاصمة، وكان ذلك عام ١٥١٦ ومن بنودها مايلي: ترك السلطة للميزابين في تسيير شؤونهم الداخلية والاعتراف بمذهبهم الإباضي واحترام أعرافهم وحماية ممتلكاتهم وتجارتهم حول مختلف مناطق الجزائر، وضمان سلامتهم في تنقلاتهم وأسفارهم وحماية قوافلهم التجارية التي كانت تجوب بلاد الجزائر شرقا وغربا وتتعداها أحيانا إلى تونس والمغرب مقابل ولاء الميزابين للدولة العثمانية وتقديمهم خراجا أو ضريبة سنوية يتولون إيصالها بأنفسهم إلى مركز السلطة بالعاصمة، وبالتالي تكون هذه المعاهدة بمثابة أول وثيقة رسمية تربط سكان صحراء الجزائر بشمالها تحت راية العثمانيين،لقد التزمت الدولة العثمانية عموما بعدم التدخل في شؤون الحكم بوادي ميزاب وأبقنت تبعيته إليها شكلية إسمية طوال فترة حكمها بالجزائر.

وقد شارك إباضية الجزائر عام ١٥١٨ في رد حملات الإسبان على السواحل الجزائرية حيث استشهد الكثير منهم في معركة حسين داي المشهورة بمعركة كدية الصابون، كما قاموا بعملية فدائية عرفت بنسف دار البارود إحدى مراكز الذخيرة الإسبانية في الجزائر العاصمة وفيها قتل عدد من ضباط الحملة الإسبانية واستشهد فيها قرابة الثلاثين فدائيا ميزابيا وهي معروفة بواقعة برج بوليلة.

٢- البساكرة: نسبة إلى بلدهم الأصلي بسكرة يقطنون المناطق الجنوبية التي تقع على أطراف الصحراء وراء منطقة الشط حيث لا توجد معلومات عن بداية قدوم البساكرة واستقرارهم بمدينة الجزائر. غير أنه يرجح بأنهم وفدوا إليها أواخر القرن ١٦م وأصبحوا يشكلون جماعة على غرار الجماعات الأخرى وما يميزهم الجدية فهم يختلفون في مظهرهم وسلوكهم عن غيرهم من القبائل العربية الإفريقية، يخضعون لسلطان الجزائر ويعتبرون من أهدأ العناصر في المملكة، وكانت السلطات تحتفظ بحامية تركية في أراضي بسكرة تحت سلطة قايد تستخدمهم الحكومة في إنجاز الأشغال العمومية وهم يعملون أيضا وسطاء في التجارة بين مدينة الجزائر وغدامس، كما أنهم قوم مسالم ومخلص وكثيرا ما يستخدمون في المنازل حيث يتمتعون بثقة الناس، يحتكرون صناعة الخبز، كما أن معظم أفراد هذه الجماعة كانوا يشتغلون في الميناء لاسيما عملية شحن وتفريغ السفن من بضائعها بالإضافة إلى العمل في الحمامات والقصابات والطواحين، كما يعملون في تنظيف الشوارع والمنازل ويقومون بالحراسة في الليل.

٣- الأغواطيون: ينتسبون إلى مدينة الأغواط حيث يسكنون الجبال التي تقع على حدود الصحراء (جبال الأغواط) يعيش بعضهم من تربية المواشي وبعضهم الآخر من الفلاحة كما يتولى بعضهم أعمال متواضعة مثل الوزن والكيل بأسواقالجزائر وبيع الزيت، ويشتغل عدد منهم بالتنظيف ونقل البضائع وغيرها.

٤- القبائل: من أهم المجموعات البرانية عددا فهم يشكلون الأغلبية الساحقة بين سكان الجزائر، يسكنون الجبال ويفضلون قممها، يقطنون في قرى

يسمونها دشرة تتكون من أكواخ مبنية من طين. القبائل شعب نشيط وذكي يعيشون من زراعة أرضهم وتربية مواشيهم وكل ما يحتاجون إليه، ينسجون عدة أنواع من الأقمشة الصوفية لاستعمالهم الخاص يستهلكون زيت الزيتون. كما يعرفون صناعة الصلب الذي يستخدمونه في صناعة عدة أنواع من الأسلحة وسكاكين المائدة كما يحسنون صناعة البارود والمدافع، والقبائلي يتعلق بمسقط رأسه إلى حد بعيد بحيث أن القناصل يجدون صعوبة في الاحتفاظ بواحد منهم أكثر من ستة أشهر. والقبائل حين يجدون أنفسهم في الجزائر يضطرون إلى الخضوع لأحكام الإسلام خوفا من غضب السلطة،لكنهم بمجرد ما يعودون إلى بلادهم يتحررون من جميع القيود الدينية بل أنه لا توجد لديهم أية أحكام أخرى تحل محلها.

٥- **اليهود:** انتشر اليهود في شمال إفريقيا وهناك بشروا بديانتهم وتمكنوا من تهويد بعض القبائل البربرية، حيث يقول ابن خلدون في تاريخه إن اليهودية انتشرت في المغرب العربي قبل الإسلام، وأخذت بعض قبائل البربر بدين اليهود مثل قبيلة جرادة التي سكنت جبال الأوراس وقبائل أخرى.

أما في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني فكانت توجد جالية يهودية يقدر مجموع عددها حسب وليام شالر بحوالي ثلاثة آلاف نسمة وهم حسب رأيه من جنس متين البنية، حسن التكوين والبشرة، لكن حالة الذل والبشع التي ولدوا فيها ويعيشون عليها تترك في وجوههم آثارا تميزهم عن غيرهم.

توجد في الجزائر ثلاث فئات رئيسية من اليهود نذكرها فيما يلي:

١- **يهود الأهالي (التوشاييم):** هي الفئة التي هاجرت إلى الجزائر وشمال إفريقيا عامة بعد الفتح الإسلامي خاصة أثناء الهجرة الهلالية الكبيرة من

المشرق إلى المغرب في القرن ١٠م هذا النوع من اليهود احتفظ بعقيدته الدينية وشكلوا خلايا اجتماعية دينية متماسكة ولم يعتنقوا المسيحية ولا الدين الإسلامي وهم عدد قليل وصفوا بالجهلة والبؤساء الذين اعتمدوا لباس المسلمين وتخلقوا بأخلاقهم، وقد تراجع عددهم مع مرور الوقت تراجعا كبيرا ونتيجة لاندماجهم في محيطهم الاجتماعي اندماجاواضحا لقبهم الجزائريون باليهود العرب أو اليهود الأصليون وأطلق عليهم الأوروبيون اسم يهود الأهالي، يكتسبون قوتهم من محصول نشاطاتهم الاقتصادية واحترفوا بعض الحرف كبائعين متجولين في الطرقات والشوارع.

٢- **يهود الإسبان (الميغورشيم أو الأندلسيون):** لجأت هذه الفئة إلى الجزائر عندما بدأت مدن والحواضر الأندلسية تسقط منذ القرن ١١م بدءًا بطليطلة عاصمة إمارة ذي النون سنة ١٠٨٥، وتوالت بعدها المدن الأندلسية في السقوط الواحدة تلو الأخرى على يد النصارى الإسبان حينها خرج اليهود والمسلمون، واستقر قسم منهم في بلاد المغرب العربي فشكلوا أكبر جالية يهودية في الوطن العربي، وصل تعدادها إلى ربع مليون نسمة، وقد ساهمت هذه الفئة في الحياة الاقتصادية وكانت تتمركز في أهم المدن الساحلية خاصة عواصم الأقاليم ومدينة الجزائر بوجه خاص، كما سكنت في بعض المناطق من الصحراء وتوقرت وبوسعادة ووادي ميزاب وغيرها من مناطق الجزائر.

٣- **يهود الليفورن:** تنتمي هذه الفئة جغرافيا وثقافيا إلى أوروبا، كان استقرارها بالجزائر حديثا، حيث قدمت من مدينة ليفورن الإيطالية في الفترة الممتدة من ١٧٢٠-١٧٤٠ ثم في عهدي حسن باشا ومصطفى باشا، لقبوا باسم يهود المسيحيين أو النصارى أو الإفرنج ما يميزها هو التفوق التقني

والثقافي بسبب احتكاكها الكبير بالنهضة الأوروبية وبحركية التطور الشامل في مختلف ميادين الحياة. تنتمي إليهم عائلتي اليهوديين بكري وبوشناق اللذين ما لبث أن تحولوا إلى عنصر سياسي واقتصادي قوي في الجزائر حيث نجحوا في احتكار التجارة والاشتغالبالصيرفة وصناعة الحلي ومتاجرة الذهب والفضة وخياطة الأقمشة وتحكموا في المبادلات التجارية مع البلدان الأوروبية فكانوا سببا في توسع الدول الأوروبية في مناطق المغرب العربي.

لقد اكتسب يهود مدينة الجزائر وباقي المدن الأخرى عادات وتقاليد الأهالي واتخذوا من اللغة العربية كأداة تعبير في معاملاتهم اليومية وطقوسهم الدينية لقد اندمج اليهود في الحياة العامة بالمدن الجزائرية وذلك بسبب ثقة الحكام الأتراك فيهم وتفضيل الأندلسيين التعامل معهم نظرا لكون أغلب اليهود ذو أصول أندلسية يتشابهون معهم في طرق العيش وأسلوب الحياة والاشتغال في المهن اليدوية وما يميزهم أيضا ارتدائهم لثياب سوداء.

٦- **الأوروبيون:** كانوا يعيشون في مدينة الجزائر وبعض المدن الساحلية وهم ينقسمون إلى فئتين وهما:

أ- **الأوربيون الأحرار:** يتألفون أساسا من التجار ورجال الدين المسيحيين والقناصل وبعض الرحالة والأطباء والصيادين، وهم يقيمون غالبا في المدن، عددهم قليل جدا مقارنة بالفئات الأخرى خاصة اليهود الذين سيطروا على مهنة التجارة كان هؤلاء يعيشون في معزل عن باقي السكان ولا يخضعون للمعاملات المالية والأحكام القضائية والقوانين المعمول بها في البلاد، يسكنون فنادق معينة أو يقيمون في أحياء منعزلة أو منازل خاصة بهم في ضاحية باب الواد أو خارج باب عزون أو في المرتفعات المشرفة على المدينة.

ب- الأسرى المسيحيون: كان يوجد في الجزائر عدد من الأسرى المسيحيين الذين تعود أصولهم إلى مختلف الدول الأوروبية إضافة إلى وجود الأسرى الأمريكيين، عددهم غير مستقر تتحكم فيه بعض الظروفكطبيعة علاقات الجزائر مع الدول الأوروبية ومدى تفوق أسطولها.

وقد اتخذت الدول الأوروبية من مسألة الأسرى ذريعة للاعتداء والهجمات المتكررة على سواحل الإيالة، فكان هؤلاء الأسرى متواجدون في عدة مدن منها وهران، قسنطينة، عنابة، وتلمسان والجزائر التي استقطبت عدد كبير منهم نظرا لقوة المعارك التي كانت تخوضها ضد الدول الأوروبية حيث كانت تشكل المصدر الأساسي للأسرى وقد كان من ضمن الأسرى النساءوالأطفال وأصحاب المهارات والأدباء وكانوا يعملون مختلف المهن كالبناء والنظافة والزراعة... وبعض هؤلاء الأسرى اعتنقوا الإسلام وأصبحوا أتراكا عثمانيين لغة وجنسية وارتقوا في مراكز النفوذ وقد وصل عدد الأسرى في القرن ١٦م إلى خمسة وعشرون ألف أسير وعرف العدد المذكور ارتفاعا محسوسا في القرن ١٧م حيث قدر بخمسة وثلاثين ألف أسير وكان ذلك نتيجة تزايد الغزو البحري للجزائريين آنذاك.

ومن خلال ما سبق نستخلص أن الجزائر خلال العهد العثماني قد عرفت تنوع في بنيتها الاجتماعية إذ قطنتها عدة أجناس من أصول مختلفة ومناطق متعددة، وكان لها دور كبير وإسهامات عدة في المجتمع الجزائري.

ب- سكان الأرياف: شكل سكان الريف غالبية سكان الجزائر في العهد العثماني بنسبة ٩٥% من مجموع سكان الإيالة، ويمكن تصنيفهم حسب موقعهم من السلطة العثمانية والامتيازات التي يتحصلون عليها:

١- **قبائل المخزن:** هي مجموعة سكانية لها صبغة فلاحية وعسكرية وإدارية لما تقوم به من أعمال وتؤديه من أدوار وهي لا تعود في أصولها إلى نسب واحد ومقابل تحالفها تحصل تلك القبائل على جملة من الامتيازات، فهي تساهم أساسا في تدعيم الجيوش النظامية في عملية جمع الضرائب ومعاقبة المتمردين عن دفعها وتتحصل مقابل ذلك على إعفاءات جبائية أو إقطاعات كما تحصل على مرتبات وبعض التجهيزات العسكرية والمؤونة.

انتشرت القبائل المخزنية في البايلكات الثلاثة وضواحي دار السلطان وبالقرب من الأبراج والأسواق الأسبوعية وأهم الطرقات التي توجد بها المنشآت الاستراتيجية، حيث تصنف إلى ثلاثة أنواع:

أ- قبائل محلية العريقة التي كانت تحتل الأراضي الخصبة وقد جعلها موقعها عرضة للحملات العسكرية ولهذا فضلت التعامل مع العثمانيين مقابل الاحتفاظ بأراضيها وتوفير الدعم الضروري للإدارة العثمانية.

ب- القبائل الاصطناعية التي شكلها الأتراك العثمانيون من عناصر غير متجانسة ومعظم أفرادها مغامرين ومغتنمي الفرص والعبيد والذين تم عتقهم وقد أرغمتهم الظروف على وضع أنفسهم تحت خدمة الأتراك مقابل استفادتهم من الأراضي وبعض الوظائف العسكرية والإدارية وكانت الإدارة العثمانية تجند من تلك القبائل فرسان فرق زمالة والدوايرة والعبيد وتم تدعيم هذه القبائل بالعناصر الكرغلية أو العبيد.

ج- القبائل الممتنعة أو المستقلة: تألفت في معظمها من القبائل التي تعيش في المناطق الجبلية كالبابور وجرجرة والونشريس، الشمال القسنطيني، هضاب وهران، هي التي أرغمت عن طريق القوة على الدخول ضمن قبائل

المخزن، إلا أنها لم تكن تلتزم بالوضع الذي فرض عليها فأحيانا تتخلى عن وضعها المخزني لتعود إلى وضعها الأصلي نذكر منها قبائل نزليوة في أعالي وادي يسر التي كان رجالها يشكلون فرق الصبايحية.

٢- **قبائل الرعية:** تتشكل من أغلبية سكان الريف الذين يقومون بممارسة الزراعة وخدمة أراضي الدولة كأجراء أو خماسين أو استغلال الأراضي الخاصة بهم ونظرا لخضوعها لموظفي الدولة فهي مطالبة بتقديم أنواع عديدة من الجبايات والمساهمة بخدمات إلزامية (التويزة) لمصالح الدولة وموظفيها وأعيانها، كما أنها ملزمة بتنفيذ تعليمات موظفي الجهاز الإداري المركزي من شيوخ القبائل وقادة العشائر فالشرق الجزائري كانت قبائل الرعية به تخضع إلى ٢٤ قائدا وشيخا.

وقد تعرضت هذه القبائل إلى عدة أصناف من الاستغلال والضغط الأمر الذي دفعها في بعض الأحيان إلى شق عصا الطاعة ضد الحكام الأتراك وحلفائهم قبائل المخزن أملا في تحسين ظروفها المعاشية أو تحت تأثير التحريضات الخارجية.

٣- **القبائل المتحالفة:** هي القبائل التي تعاملت مع البايلك عن طريق زعمائها المحليين الذين توارثوا الحكم معتمدين في ذلك على كفاءتهم الحربية أو الدينية أو أصالة نسبهم منهم من عرف بالأجاود أو النبلاء، وقد اضطرت السلطة التعاون معهم مقابل إخضاع عائلاتهم مثل الدواودة والأحرار في الشرق الحنانشة وأولاد بن عاشور في فرجيوة، ولاد عزالدين في الزواغة وقد كان هؤلاء الأجواد سادة في مناطق نفوذهم، كما نجد المرابطين الذين تقربت منهم السلطة التركية مانحة إياهم بعض الامتيازات مقابل التوسط بينهم وبين السكان. وبغض

النظر عن دور هذه الزعامات فإن الإدارة العثمانية عرفت كيف تتعامل أو تقلل من نفوذها وإضعاف تأثيرها في أوساط الريفين، وقد انتهجت أساليب محكمة لتحقيق تلك الأهداف ومن جملتها سياسة المصاهرة المصلحية التي اتخذها الحكام العثمانيين في بايلك قسنطينة كوسيلة سياسية للسيطرة على البلاد وقد طبقت هذه السياسة في بداية الحكم العثماني مع شيوخ القبائل بالريف دون المدينة، وقد حققت تلك السياسة استقرارا سياسيا دام أكثر من ثلاث قرون.

المحاضرة 08: التنظيم العسكري في إيالة الجزائر

أجمع معظم الذين كتبوا عن تاريخ الجزائر الحديث مثل القناصل والرحاله وكذلك بعض المؤرخين أنها كانت جمهورية عسكرية، ذلك أن الجيش كان يشكل القاعدة الأساسية التي بني عليها نظام الحكم في الإيالة ويمكن الاشارة هنا إلى عاملين صبغا الايالة بتلك الصبغة العسكرية هما:

1- الظروف الحربية التي أسست فيها الإيالة.

2- كونها امتداد للدولة العثمانية التي أخذت عنها الإيالة خصائصها ومنها الخاصية العسكرية، وقد رأت الإيالة ضرورة الحفاظ على صبغتها العسكرية حتى تكون على استعداد دائم لمواجهة الهجمات التي كانت تشن عليها من قبل كثير من الدول الأوروبية.[1]

والجيش في الجزائر قائم على دعامتين هما الجيش النظامي المتمثل في فرق الأوجاق وفي مقدمتها فرقة الانكشارية والجيش الإحتياطي المتمثل في عشائر المخزن إلى جانب البحرية التي تشكل جانب هاماً ومميزاً في قوة الجزائر العسكرية. وأول فرقة عسكرية في الجيش النظامي هي:

1-الانكشارية:

يرجع تأسيس انكشارية الجزائر إلى عام 1520م حينما أرسل السلطان سليم الأول إلى خير الدين ألفين من الجنود الانكشارية، واتبعهم بعد ذلك بأربعة آلاف من المتطوعين مع الرعية مع إعطائهم الامتيازات والحقوق المادية والادبية التي يحضى بها الجيش الانكشاري في استانبول ونظراً لتناقص دور "ديوشيرمة"[2] اعطى للإيالة حرية تنظيم عمليات التجنيد بين

---

[1]- خليفة حماش، العلاقات بين الجزائر والباب العالي، مرجع سابق، ص91-92.

[2]- ديوشيرمة: كلمة تركية معناها الجميع وكانت تطلق على العملية التي تقوم بها الدولة العثمانية لجمع الغلمان المسحيين لتربيتهم تربية وتدريبهم بطريقة خاصة وتسخيرهم لخدمتها في مختلف المجالات ومن بينها الجيش. للاطلاع اكثر ينظر: خليفة حماش، العلاقات بين الجزائر والباب العالي، مرجع سابق، ص94

المسلمين في أقاليم الدولة العثمانية وبصفة خاصة بالاناظول لتجنيد المتطوعين، وانكشارية الجزائر موزعين على وحدات عسكرية أكلق على كل واحدة منها إسم "أورته".

وفيما يتصل بمصطلح أوجاق الذي كان استعماله شائعا في الدولة العثمانية فكان يستعمل في استانبول بمعني "الجيش النظامي " وكذلك بمعنى الفرقة العسكرية الكبيرة، أما في الجزائر فقد كان لمصطلح الاوجاق ثلاث معاني هي:

1. أورته أي وحدة عسكرية من وحدات الجيش الانكشاري.
2. تستعمل بمعني الجيش النظامي.
3. يستعمل ليدل علي الإيالة كلها.[3]

يعرف الجندي الانكشاري في السجلات الرسمية باسم "يولداش" بمعنى الرفيق والزميل والجندي المتطوع في اقاليم الدولة العثمانية يعين فور وصوله إلى الجزائر في احدى وحدات الانكشارية ليقضي بها مدة ثلاث سنوات يتعود خلالها على الحياة العسكرية حاملا "يكي يولداش أي جندي جديد ليصبح بعدها "اسكي يولداش" أي الجندي القديم[4].

تعتبر فرقة الانكشارية أكبر فرق الجيش النظامي بشكل عام وهناك فرق أخرى هي:

- **الطوبجية:** (المدفعية) اعتمدت عليها السلطة في الإيالة في الدفاع عن سواحلها التي كانت معرضة باستمرار لهجمات الأساطيل الأوربية وكان جنودها موزعين على القلاع.
- **السبايهية:** يمثلون الفرسان وكان عددهم قليل إذا ما قرناه بعدد جنود الانكشارية كما كان وجودهم مقتصرا على عواصم المقاطعات وهران، قسنطينة، المدية حيث يشكلون حرسا للبايات.

يقود هذه الفرقة آغا السبايهية المقيم في مدينة الجزائر يوكل إليه قيادة الجيش النظامي والاحتياطي في المعارك.

---

[3]- خليفة حماش، العلاقات بين الجزائر والباب العالي، مرجع سابق، ص97.

[4]- نفسه، ص 94.

- **صولاق:** يختار جنودها من أقدم الجنود في الانكشارية يشكلون الحرس الخاص بالباشا يرافقنه أثناء خروجه على هيئة فرسان مسلحين بالبنادق ومميزين بلباس خاص.
- **أبيكلر:** يختارون من أقدم الجنود الانكشارية بعد جنود الصولاق يقيمون بمهمة مراقبة الأحياء الصغيرة في مدينة الجزائر.
- **الجاوشية:** يختار جنودها من بين الانكشارية الذين يتميزون بالبنية العضلية القوية وكانت مهمتهم ترتكز على مراقبة الجنود والقبض على المتهمين منهم يرأسهم ضابط يعرف باسم جاوشي باشي يقف بجانب الباشا باستمرار ليتلقى الأوامر وتعيين من ينفذها من الجاوشية، عددهم لا يتجاوز الأحد عشر وكان أحدهم يتبع آغا الانكشارية.
- **إزباندود:** تتكون من الجنود المغضوب عليهم ثم صدر العفو عنهم (بعد أن تمكنوا من اللجوء إلى احد المزارات) ومنعوا من العودة إلى وحداتهم في الجيش.

-الجيش الاحتياطي:

أمام قلة عدد الجند النظامي وكثرة الثورات واشتداد الهجمات الاوربية، لجأت الإيالة إلى تكوين جيش احتياطي تستعين به في قواتها العسكرية وتعزيز نظامها الحربي وهو الأمر الذي أدى إلى خلق فرق موازية للجيش النظامي والتي تتكون من الفرق المحلية وقبائل المخزن.

1-قبائل المخزن: تحتل القبائل المخزنية مرتبة اجتماعية ممتازة حيث أن وضعيتها كحليف للبايلك تمنحها الأمان، ومهمتها المتمثلة في جمع الضرائب تمنحها نوعا من السلطة والجاه[5]،وتمركز القبائل المخزنية الهامة في مواقع استراتيجية،وتستغل أجود الأراضي فتتمركز على المحاور الكبرى للمواصلات مثل: الطريق السلطاني الذي يربط وهران بالعاصمة عن طريق هضاب شلف، إضافة إلى قبائل الدوائر والزمالة تضاعف شأن الحشم القبيلة المخزنية التي

---

[5]- فتيحة الواليش، **الحياة الحضرية في بايلك الغرب الجزائري خلال القرن 18م**، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 1993 . 1994م، ص 29.

تتواجد في سهول وجبال معسكر، علما أنه فيما بعد انضمت قبائل بني عامر إلى المخزن وأصبحت من الحشم وبني عامر تشكلان القبيلتين الكبيرتين ضمن القبائل المخزنية لبايلك الغرب، حيث يعتبر مخزن وهران من أبرز مخازن الإيالة الجزائرية، من حيث القوة العسكرية.

4-الجيش البحري: في البداية لا بد أن نميز بين ثلاثة أشكال من العنف البحريالمعروف بالقرصنة[6]وهي:

1. حرب القرصنة وهي نوع من الحرب تقوم فيه الدولة بإشراك الخواص من أصحاب السفن في تكاليف وفوائد الحرب البحرية.
2. اللصوصية البحرية وهي عملية نهب في البحر بلا عقيدة ولا قانون، وهي مدانة عالميا من طرف القانون والأخلاق.
3. "القورصو" بين المسحيين والمسلمين، وهو شكل من أشكال العنف خاص بالبحر المتوسط له خصائص تقربه من القرصنة ومن اللصوصة البحرية معا، ولكن سلوك متعارف عليه ومقبول بين الطرفين وكان باسم الحرب المقدسة من النشاطات التي تميز بعض دول المتوسط مثل مالطة والإيالات المغاربية خلال القرنين الأولين من العصور الحديثة[7].

1-البحرية في إيالة الجزائر: يعتبر الاسطول أحد الأدوات الأساسية التي إنبنا عليها الحكم العثماني في الجزائر ويرتكز على الهياكل المادية والبشرية:

السفن وأنواعها: تجد بنا الإشارة إلى أن السفن كانت تصنع أحيانا بالجزائر، الإعتماد على الأسرى الأوروبيون كما سبق وأن أشرنا، وأحيانا أخرى يتم شرائها من الخارج أو تغنم من

---

[6]- القرصنه حرب مشروعة تتم بواسطة بيان صريح للحرب أو ترخيص يتم بموجبه تجهيز سفينة حربية جوزات سفر، لجان وتعليمات والقرصنة لها قوانيها وأنظمتها وعادتها الحية وتقليدها إن بحريات الدولة الرسمية تفتح صفوفها للقراصنة، إن القرصنة ليس عملا خاصا بل عمل الدولة، القرصنة والنشاط الاقتصادي مترابطان، فهذا يرتفع وذلك يسفيد من نالازدهار والتقدم لأن القرصنه تقتضى حلقة مبادلات، ومدينة الجزائر لن تكون ميناء كبير للقرصنة إلا إذا أصبحت مركزا تجاريا نشيطا. للاطلاع أكثر ينظر: كورين شوفالييه، **الثلاثون سنة الأولي لقيام مدينة الجزائر،1510-1541م**، تر: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص49.

[7]- المنور مروش، القرصنة الأساطير والواقع، مرجع سابق،ص08.

البحر، أو تقدم في شكل هدايا أو إتاوات من البلدان الأوروبية وذلك في إطار المعاهدات والاتفاقيات التي تبرمها الجزائر معها، وهي بأنواع مختلفة.[8]

. الكورفيت (Le Corvette): تدعى الحراقة وهي مركب حربي صغير له ساريان إثنان وحمولتهما بين الفرقاطة والبريك.

. الفرقاطة (Frégate): هي وحدة حرب ذات حمولة أكثر من الكورفيت.

. قوليت (Hoëlitte): هو مركب بالأشرعة سريع الحركة له ساريتان إثنان.

. البريك (Brick): مركب صغير الحجم له مجذفان وشارعان مربعان.

. القادرعة (Galère): كانت تدعى بالعثمانية سفينة ذات مجاذيف مزودة بشراع مثلث الشكل بلغ طولها 45 مترا وعرضها 5,5 مترا وتحمل من 03 إلى 05 مدافع كبيرة في المقدمة بالإضافة إلى عدد منها الخفيفة في الجانبين.

. البركانطي (Brigantin): هي سفينة صغيرة ذات مجاذيف لها ساريتين، تعرف أيضا بفرقاطة.

. الغيلوطة (Galiote): لا تختلف عن القادرغة من حيث الشكل والتسليح لكنها أسرع وأصغر.

وبالإضافة إلى هذه السفن نجد " البولاكر " **''Polacre''** و"الشالوب" **''Chloupe''**، والطريدة والعشارية والغراب والبيرقانتين، وغيرها.

2–مصادر التموين: بالنسبة لمصادر تموين المواد الأولية التي تستعمل لصناعة هذه السفن، فقد كانت الأخشاب تنقل إلى ترسانة الجزائر من نواحي شرشال، كما كانت غابات القل الغنية بأشجار البلوط الأخضر، تمول هي الأخرى ترسانة الإيالة بالأخشاب الضرورية لصناعة السفن، ولا تماثلها سوى غابات الإيدوغ وبني صاح والقالة وضواحي السيبوس التي تمول

---

[8]- يحي بوعزيز، موجز في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص170.

ترسانة الجزائر بالأخشاب والراتنج خاصة، وكانت أخشاب غابات القالة أكثر ملائمة لصنع أقفاص السفن لقابليتها للإنحناء والتقوس.

وليتسنى التموين بصفة منتظمة وبأثمان معقولة أبرمت الحكومة مع الشخصيات المحلية إتفاقيات إستفاد منها الطرفان، ومع بعض الدول الأوروبية لتزويدها بما تحتاج إليه، وحتى مع الباب العالي الذي يقدم ردا عن الهدايا التي يتلقاها مواد خاصة بالأسطول، مثل أخشاب البناء وحاملات المدافع ودفعات المراكب والمجاديف وأشياء أخرى، أما إذا حصل نقص، فإن الطائفة تتفاداه عن طريق الحصول عليه كغنيمة عند اعتراض سبيل السفن المعادية للبلاد والمحملة بالأخشاب الملائمة لصناعة السفن.

المحاضرة الثانية:

دوافع الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية

لقد تهاوى الحكم الإسلامي بالأندلس وتم القضاء عليه بعد الصراع الإسلامي النصراني في نهاية القرن ١٥م حيث تشجعت إسبانيا في نقل صراعها إلى سواحل الدويلات الإسلامية في شمال إفريقيا وقد ساعدها في ذلك الظروف الصعبة التي كانت تعيشها هذه المناطق من تفكك وانحلال وصراعات داخلية. وهو ما سهل عملية احتلال أغلب سواحل شمال إفريقيا مع بداية القرن ١٦م وكان من وراء ذلك مجموعة من الدوافع يمكن حصرها في النقاط الآتية:

١- **الدوافع الدينية:** اكتست الحملات الإسبانية على سواحل المغرب الأوسط صبغة دينية ورغبة جامحة في محاولة تنصير المسلمين، ويدخل ذلك ضمن الطموح المسيحي والحقد الصليبي الدفين الذي ظل حيا في نفوس العديد من رجال السلطة الدينية والدنيوية منذ الحروب الصليبية في المشرق لينتقل إلى بلاد المغرب انطلاقا من إسبانيا التي كانت لها رغبة في التمسيح والتنصير ونشر المسيحية ومقاومة الإسلام، ولتحقيق ذلك شنت حملات واسعة وشرسة ضد المسلمين وجاء ذلك بعد سقوط غرناطة آخر معقل للمسلمين في الأندلس عام ١٤٩٢ واعتبرت ذلك تكملة لحروب الاسترداد المسيحية في شبه الجزيرة الإيبرية (Reconqusta)، ولتحقيق ذلك أصدر البابا أمره لكل المسيحين بضرورة الاستمرار في دفع الضريبة الصليبية (Crusada) لملوك إسبانيا من أجل دعم الحروب الإفريقية، وعلى هذا الأساس جمع القساوسة والرهبان أموالا باهضة في سبيل تحقيق ذلك بل أنهم باعوا ذخائر الكنائس وكنوزها الثمينة بغية تزويد الجيوش المسيحين بالمال والعتاد. أما الملكة إيزابيلا Isabila فقد

استجابت للدعوة وتركت لابنتها "جين" وزوجها "فليب"وصيةتأمرهما فيها بفتح إفريقيا وضرورة محاربة المسلين أينما وجدوا.

٢- **الدوافع السياسية:** كانت الدوافع السياسية من أهم أسباب الاحتلال الإسباني لسواحل المغرب الأوسط، حيث كانت للمملكة الإسبانية أطماع توسعية خاصة بعد شعورهم بالعظمة بعد توحيد بلادهم وطرد العرب المسلمين منها الأمر الذي شجعهم للتطلع خارج حدودها من أجل تشكيل إمبراطورية مسيحية مترامية الأطراف وتحقيق طموحاتها التوسعية، وهذا لن يتحقق إلا بإحكام سيطرتهم على سواحل الشمال الإفريقي، وقد ساعدهم في تحقيق مشاريعهم التوسعية الضعف والانحلال الذي عرفته المنطقة.

٣- **الدوافع الاقتصادية:** عرفت إسبانيا تراجعا رهيبا في اقتصادها بعد طرد المسلمين واليهود من أراضيها الذين كانوا يشكلون العمود الفقري لاقتصاد بلاد الأندلس فبرحيلهم تعطل الإنتاج وتدهور اقتصادها، ولم تجد أمامها سوى العالم الخارجي الذي تطلعت إليه ووجهت أنظارها الثاقبة إلى دويلات المغرب الإسلامي خاصة بلاد المغرب الأوسط الذي كان يعرف ضعفا وانحطاطا في جميع المجالات.

لقد كان لملوك إسبانيا رغبة جامحة في احتلال المنطقة كونها تتمتع بخيرات كبيرة ومتنوعة سواء أكانت معدنية أم طاقوية وزراعية بالإضافة إلى موانئ هامة ساحلية ذات مواقع استراتيجية والمرافق والمخابئ المنتشرة على طول سواحله فهو يعد مركزا هاما للتجارة والتبادل الاقتصادي فكانت إسبانيا تطمح في السيطرة عليها من أجل تقوية تجارتها الخارجية وتأمينها وتنمية اقتصادها وحماية طرق مواصلاتها مع جزيرة صقلية التي كانت تزودها ببعض

المنتوجات الغذائية كالقمح مثلا، بالإضافة إلى تأميم خطوط مواصلاتها الهامة من إسبانيا وإيطاليا لاتخاذ من القواعد الأمامية منطلقا لغزو المناطق الداخلية.

كما كان لتأمين طرق المواصلات دورا بارزا في تحريك عملية الغزو بهدف الوصول إلى مستعمراتها في مناطق مختلفة من أجل حماية ممتلكاتها والمحافظة على مصالحها الحيوية واستخدامها لمحطات تجارية هذا بالإضافة إلى أن شبه الجزيرة الإيبيرية بعد الاكتشافات الجغرافية أصبحت في أمس الحاجة إلى أسواق جديدة تستوعب تجارتها وإلى ثغور متعددة تحمي أساطيلها المثقلة بالحمولة.

٤- **الدوافع الاستراتيجية:** يتمتع البحر الأبيض المتوسط بأهمية خاصة فهو يعتبر أكبر البحار حول العالم (من البحار الداخلية)، يقع عند ملتقى ثلاث قارات كبيرة حيث يربطها ببعضها البعض (آسيا، إفريقيا، أوروبا) حيث يكتسب أهمية جغرافية واقتصادية وحضارية كبرى فهو مهد للعديد من الحضارات الراقية (أمازيغية- يونانية- فينيقية- رومانية- عربية وإسلامية) حيث يجمع عدد من القوميات واللغات والثقافات ويعتبر حلقة وصل بين أجزاء العالم المختلفة وشعوبه.

كما يمثل أهمية كبيرة في النقل البحري الدولي وذلك من خلال مضايقه وقنواته الهامة، لذلك نجده قد لعب دورا كبيرا في اقتصاد البلدان الساحلية، فهو يقع في مكان استراتيجي مهما للعديد من الدول الأوروبية خاصة إسبانيا التي سعى ملوكها إلى احتلال مدنه الساحلية لاتخاذها قواعد بحرية تستفيد منها سفنهم في الإبحار للوصول إلى أهافها التوسعية.

وكان هدف الاحتلال الإسباني للمناطق الاستراتيجية في الجزائر هو

مراقبة السفن المارة بالمياه الإقليمية للبحر الأبيض المتوسط والتوسع في المغرب الإسلامي وحماية نفسها من أي عدوان قد يكون مصدره المغرب بحكم قرب المسافة بين المنطقتين.

الاحتلال الإسباني للمدن الساحلية الجزائرية:

إن انقسام المغرب الإسلامي إلى إمارات ضعيفة متطاحنة فيما بينها جعلها تكون هدفا سهل المنال لدول وممالك أوروبا وعلى رأسهم المملكة الإسبانية التي تشجعت لاحتلاله مستغلة في ذلك الظروف التي كانت تعيشها بلاد المغرب الإسلامي عموما والمملكة الزيانية خصوصا.

لقد بدأت إسبانيا في الزحف نحو الشمال الإفريقي فوضعوا أيديهم على جزر الكناريعام ١٤٧٩ وقد قدمت هذه الجزر خدمة جليلة للإسبان حيث استخدموها كمحطات برية لسفنهم، وقد زادت رغبتهم في التوسع بعد القضاء على الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبرية،فكانت بداية رحلتهم في تنصير المسلمين والقضاء على المورسكين الفارين من الأندلس بعد سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين عام ١٤٩٢، فقرارهم جاء خوفا من عذاب الإسبان، حيث كانوا يستغيثون بإخوانهم في المغرب الإسلامي خاصة المغرب الأوسط الذي كان حصنا منيعا يلجأ إليه المهاجرون الأندلسيون.

احتلال المرسى الكبير ١٥٠٥:

باشرت المملكة الإسبانية في احتلال سواحل المغرب الأوسط واعتبرت ذلك امتدادا للحروب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين التي بدأتها في الأندلس لذلك جهزت الحملة من طرف الملك فرديناند وكلف الكاردينال خيمينيس بتجهيز حملة عسكرية ضخمة فقام بتجهيز الأسطول البحري من ماله الخاص إضافة

إلى حصوله على مساعدات الكنيسة بأموالها ومباركتها للحملة. سار الأسطول بقيادة "دون رايمون دي قرطبة" قائدا عاما للحملة الإسبانية على السواحل الجزائرية من مالقة في ٢٩ أوت ١٥٠٥ ووضع تحت تصرفه جيش قدر بـ: ٥ آلاف جندي ولم يصل الأسطول إلى المرسى إلى غاية ١١ سبتمبر ١٥٠٥ بعد أن توقف في المريةبسبب الرياح القوية كان هذا التأخر لصالح الإسبان لأن الكثير من المقاتلين الأهالي الذين جاؤوا من أجل حمايته والدفاع عن المرسى تفرقوا بعد أن طال انتظارهم ظانين بأن الإسبان قد تراجعوا من مهاجمة الميناء تاركين وراءهم حامية قدرت بـ: ٥٠٠ رجل وكلت إليها مهمة الاستطلاع والمراقبة.

عند وصول الأسطول الإسباني اشتبك مع الحامية الزيانية في المرسى الكبير في معركة غير متكافئة من حيث العدة والعتاد وانتهت باحتلال القلعة والتحصن بها لمدة ثلاثةأيامبعد استشهاد قائدها فلم يتمكنوا من رد الهجوم رغم استبسالهم.

بعد احتلال الإسبان للمرسى الكبير فرضوا سيطرتهم على المدينة فقاموا بتحويل مسجد المدينة إلى كنيسة "القديس مخائيل" وقاموا بترميم الأسوار التي تضررت من قذائف المدفعية، وأقاموا علاقات مع الأهالي، وفتحوا أسواقا تجارية بجانب المدينة من أجل تزويد حاميتهم العسكرية بالمؤونة.

وبهذا يكون احتلال المرسى الكبير مكسبا بالنسبة للإسبان فهو ميناء ممتاز يتميز بموقع استراتيجي وحصانة طبيعية، فهو محمي من الرياح والأعاصير وقريب من الشواطئ الإسبانية، ترسو فيه مئات السفن والمراكب الحربية بسهولة لذلك اتخذه الإسبان بوابة لاحتلال موانئ أخرى ومدن ساحلية

ذات أهمية استراتيجية كمدينة وهران التي زحف إليها الإسبان انطلاقا من المرسى الكبير.

احتلال مدينة وهران ١٥٠٩:

لقد كثف الإسبان نشاطهم من أجل إنجاح مشروعهم الاستعماري في شمال إفريقيا لذلك أرسلوا حملة ضخمة لاحتلال مدينة وهرانعام ١٥٠٩ بجيش تعداده ١٥ ألف جندي، أقلته ٣٣ باخرة حربية و٥١ زورقا صغيرا إلى سواحل وهران بقيادة بيدرونافارو، وقد نجح في اقتحام أسوار مدينة وهران بكل سهولة دون معاناة وكان ذلك بمساعدة يهودي خائن يعرف باسم شطورا الذي كان يعمل قابضا للضرائب بالمدينة، فقام بفتح لهم أبواب المدينة رفقة أعوانه وهما خائنان يعملان تحت إدارته وهما عيسى العربي وابن القانص حيث تمكنوا من فتح أحد أبواب المدينة المحاصرة للجنود الإسبان فتمكنوا من التوغل داخلها كالسيل الجارف وهم يقتلون كل من يقف أمامهم فارتكب الإسبان بذلك مذابح رهيبة أشرف على تنفيذها الكاردينال خمينيسXimeniesالمعروف بعصبيته الشديدة وحقده الدفين على الإسلام والمسلمين فقتل حوالي أربعة آلاف شخص وأسر ثمانية آلاف من المسلمين أخذوا جميعا إلى إسبانيا كما قام بتحويل العديد من المساجد إلى كنائس.

غادر خمينيسوهران وترك بها حامية تتولى حمايتها وحماية المرسى الكبير وتم تعيين "دون ديجو" قائد عام على مدينة وهران والمرسى الكبير، ومنه أصبحت وهران مركزا للنشاط الإسباني في الشمال الإفريقي حيث قاموا بشن غارات على القبائل المحيطة بالمدينة فتمكنوا من إخضاعها، كما قام الملك الزياني أبا حمو الثالث بإعلان تبعيته للإسبان وتعهد لهم بدفع جزية سنوية

قدرت بـ اثني عشر ألف (١٢ ألف) دوقة ذهبية و١٢ فرسا من جياد الخيل و٦ من طيور الباز الجارحة.

لم تكن الخيانة هي السبب الوحيد الذي أدى إلى احتلال وهران فلقد كان لقوة الجيش الإسباني وتفوقه العددي دورا كبيرا في إخضاع مدينة وهران والمرسى الكبير فبعد هذا النجاح الباهر فتحت شهية الإسبان للتوسع على حساب المناطق الغربية للجزائر كما أعلنت بعضها تبعيتها لإسبانيا عام ١٥١١ مثل مدينة دلس ومستغانم وشرشال، وقد دفعها إلى ذلك الظروف، حيث انحازت إليها بعض القبائل المتعاونة التي ضعف إيمانها فباعت وطنها خوفا من بطش الإسبان خاصة بعد أن تأكدت بأنها عاجزة عن المقاومة والوقوف في وجه العدو.

ولما أدرك الإسبان الأهمية الاستراتيجية لمدينة وهران قاموا بتحصينها تحصينا محكما مكنها من الثبات أمام جميع محاولات تحريرها لذلك جاء تأخر فتحها حتى عام ١٧٩٢ زمن عثمان باشا الكبير الذي تمكن من طرد الإسبان من المنطقة.

احتلال بجاية ١٥١٠:

أخذ الإسبان يتوسعون على المدن الساحلية الشرقية بدءا بمدينة بجاية التي كانت تخضع للأمير الحفصي عبد الرحمان وابن أخيه عبد الله، توجه الأسطول الإسباني على متنه ١٠ آلاف جندي بقيادة بيدرونافارو إلى بجاية التي وصلها يوم ٥ جانفي ١٥١٠، حيث نشبت معركة بين أهالي منطقة بجاية بمساعدة بعض الحاميات الحفصية ضد الاحتلال الإسباني ونظرا لقلة العدة والعتاد في صفوف أهالي بجاية فإن المعركة كانت لصالح الإسبان الأمر الذي

أدى إلى انسحاب العديد من المقاتلين كان على رأسهم الملك الحفصي.

لقد دخل الإسبان مدينة بجاية عنوة ووصل إليها أسطولها المكون من ٢٠ سفينة تحمل ١٠٠٠٠ مقاتل، وتمكنوا من إنزال قواتهم إلى البر وتم مراقبة المدينة حتى لا تصل إليها النجدات. دخل الطرفان في معركة لم يكتب لها النجاح وقاموا بالتقتيل والتنكيل راح ضحيتها أزيد من ٤ آلاف شخص، كما أمعنوا في نهب المدينة وتخريبها حيث نقلوا جميع ما فيها من تحف ونفائس إلى إسبانيا في ثلاثين مركبا غرق أكثرها في الطريق وهدموا منار قصر اللؤلؤ وقصر الكوكب ومسجد الجامع الأعظم، وسارع عدد من الموانئ إلى قبول الخضوع للسيادة الإسبانية ودفع الجزية مثل تنس ودلس وشرشال ومستغانم.

بعد نجاح الإسبان في احتلال مدينة بجاية التي جعلوا منها قاعدة عسكرية لاحتلال مدن ساحلية أخرى توجهوا أيضا في نفس السنة إلى مدينة عنابة وتمكنوا منها دون مقاومة تذكر فقاموا بسلبها ونهبها وانتهاك للحرمات وترك حامية لحراستها، كما عرفت نفس المصير كل من مدينة القل وسكيكدة.

الجزائر توقع على معاهدة الاستسلام ١٥١٠:

بعد احتلال مدينة بجاية وبعض المدن الساحلية شعر سكان مدينة الجزائر بالخوف والخطر لذلك سارع أعيانها إلى تشكيل وفد برئاسة شيخها سالم التومي إلى بجاية التي جعلها بيدرونافارو مركز قيادته فأبرم معه صلحا. وفيه اعترفوا بالسيادة الإسبانية، ومن شروط المعاهدة:

- الخضوع للنفوذ الإسباني بعد عقد سلام بين مدينة الجزائر والإسبان.
- إطلاق سراح الأسرى المسيحيين.
- عدم التعرض للسفن الإسبانية في البحر المتوسط.

– دفع ضريبة باهضة.

لم تقف أطماع إسبانيا عند هذا الحد بل تم تسليم لإسبانيا إحدى أكبر الجزر الصخرية بالساحل الجزائري وهي عبارة عن صخرة مواجهة لميناء الجزائر عرفت باسم حصن البنيون وتم وضع فيه حاميتهم العسكرية والمدفعية من أجل بسط نفوذهم في البحر المتوسط ومراقبة الصادرات والواردات في ميناء الجزائر، فأصبحت إسبانيا شوكة في جنب الجزائر تهددها.

بعد أن احتل الإسبان كل من المرسى الكبير ووهران وبجاية تخوفت بعض المدن الساحلية من بطش الإسبان فأعلنت تبعيتها وخضوعها لها سنة ١٥١١ مثل تنس، دلس، شرشال. وبهذا يكون الإسبان قد أحكموا سيطرتهم على سواحل الجزائر الشرقية والغربية، كما استغلوا النزاعات الداخلية وفرضوا حمايتهم على سلطان تلمسان سنة ١٥١٢ حيث عقدت الإمارة الزيانية معاهدة صلح مع إسبانيا واعترفت فيها بسلطة إسبانيا على موانئ سواحل إفريقيا الشمالية وقد التزمت هذه المدن تقديم ولاء الطاعة ودفع ضريبة سنوية.

ومن هنا نقول بأن الإسبان تمكنوا من احتلال بعض المناطق الساحلية من الجزائر وساعدهم في ذلك الظروف الداخلية التي كانت تعيشها المنطقة مثل تطاحن حكام المملكة الزيانية والضعف والتمزق وعجز القوة العسكرية في مقاومة الاحتلال وغيرها من العوامل التي تضافرت وكانت لصالح المملكة الإسبانية دون تحرك أمراء بني زيان. هذا إن دل على شيء إنما يدل على ضعف قوتهم وسلطتهم المركزية فغابت مظاهر دولة قوية موحدة، وأمام هذا الوضع الأسيف لم يجد سكان الجزائر من وسيلة سوى الاستنجاد بالدولة العثمانية نظرا للروابط الدينية المشتركة بينهم.

مراحل الحكم العثماني لإيالة الجزائر

1-مرحلة البيلربايات: 1520-1587م:

تمارس السلطة في الإيالة من طرف البيلربايات مباشرة أو عن طريق نوابهم، وكانت سلطتهم تصل إلى باشوات تونس وطرابلس، وقد تميزت هذه الفترة ب:

- طغت على هذه المرحلة مقاومة الاحتلال الإسباني، سواء على الموانئ الجزائرية أو في البحر المتوسط.
- التعاون بين البيلربايات ومقر الخلافة العثمانية اسطنبول.

حكم خلال هذه الفترة حوالي 20 حاكما، أشهرهم حسن آغا، حسن بن خير الدين، صالح ريس وعلج علي، يتميز البيلربايات بالشجاعة والذكاء وحسن التسيير ويعينون لاعتبارت منها:شهرتهم في مقاتلة الأعداء كخير الدين بربروس، وحسن آغا بعد رد حملة شارلكان أو لشهرة آبائهم كحسن بن خير الدين ومحمد بن صالح رايس. أو لمكانتهم عند السلطان كصالح ريس الذي كان قائدا للسفينة السلطانية قبل تعيينه في منصب بايلرباي.

كما أن السلاطين العثمانيين يعينون حكاما للإيالة بعد استشارة العارفين بالإيالة وأحوالها، إذ نجد السلطان بعد تعيينه لحسن بن خير الدين للمرة الرابعة وتوقعه عدم قبوله لهذا المنصب يوجه رسالة إلى علج علي قبطان الأسطول العثماني يستشيره فمن يراه مناسبا لتولي هذا المنصب في حال تنازل حسن بن خير الدين عنه[1].

تميزت فترة حكم البيلربايات ب:

- حكام الجزائر خلال فترة البيلربايات من أصول متعدد، إذ نجد منهم العلج كحسن آغا وحسن قورصو، والتركي كقائد صفا ومحمد باشا تكرلي، والعربي كصالح رايس وعراب أحمد والكرغلي كحسن بن خير الدين.
- تميزت هذه الفترة بحكم رياس البحر.
- عرفت فترة البيلربايات بروز شخصيات جد مؤثرة في الأحداث الخارجية مثل خير الدين بربروس، وحسن آغا، وحسن بن خير الدين.

-أهم أعمال البيلربايات:

على الصعيد الداخلي وضع البيلربايات أسسس الجزائر الحديثة إذ عززوا نفوذ السلطة المركزية، وعرفت الجزائر حدودا ثابتة وعاصمة رسمية. ففي عهد حسن بن خير الدين وضعت الأسس الأولى للتنضيمات الإدارية الحديثة، إذ قسم البلاد مقاطعات عرفت بالبايليكات (بايليك التيطري، بايليك الشرق، بايليك الغرب) وخصت الجزائر بنظام خاص

[1]- عائشة غطاس، الدولة الجزائرية الحديثة، مرجع سابق، ص45 .

عرف بدار السلطان، وتمكن صالح رايس من تحرير بجاية والقضاء على الدوله الزيانية نهائيا في عام 1555م، كما قضى على التمردات الداخلية، ووسع نفوذ السلطة المركزية حتى الأقاليم الصحراوية ففي مجال الدفاع عن الحدود الجزائرية تمكنت الجزائر في 1541م من صد حملة شارلكان وهي تحت حكم حسن آغا[2].

ساهم البيلربايات إلى جانب الدولة العثمانيةفي مجالين: يتمثل الأول في طلب الدولة العثمانية من بيلربايات الجزائر تحديث الأسطول العثماني وقد كان ذلك على يد خير الدين بربروس في 1533م، إذ غادر الجزائر رفقة 17رايسا و18سفينة، أما بعد نكبة ليبانت عام 1571م، فقد لجأ السلطان العثماني إلى بايلرباي الجزائر علج على وعينه أميرالاللأسطول العثماني، وكلفه بتجديد الأسطول وتعويض مادمر منه،كانت إذن فترة البيلربايات مرحلة تنظيم داخلي، ونشأة لنواة كيان سياسي بحدوده وعاصمته وأقاليمه، وبروز في المجال الإقليمي ومساهمة في رسم خريطة غرب المتوسط لصالح الدولة العثمانية على حساب إسبانيا التي جنحت للسلم وعقدت هدنة مع العثمانيين في 1580م [3].

2-مرحلة الباشوات (1587-1659م):

بموت العلج علي1587م انتهى نظام البايلربايات[4]، وكان يحتفظ بلقب بايلرباي رغم تركه الجزائر وتعيينه أمرالا للأسطول العثماني في 1571م، فقرر مراد الثالث إلغاء نظام البايلربايات واستبداله بنظام الباشوات. فما هي الأسباب التي أدت لتغيير هذا النظام؟ خوف السلطة العثمانية في استنبول من تحول الجزائر نحو الاستقلالية خصوصا بعد أن عقدت الدولة العثمانية معاهدة مع اسبانيا1580م.

يعين الباشا من طرف الباب العالي لمدة ثلاث سنوات مع امكانية التجديد، وقد قلصت الامتيازات التي كانت سابقا للبيلربايات وحصرت مهمته في جمع الضرائب والمحافظة على الأمن وتنفيذ تعليمات السلطان، جمع بين السلطتين المدنية والعسكرية، دامت فترة حكم الباشوات مايقارب 72سنة، تعاقب خلالها على الحكم حوالي 27باشا، عاد بعضهم إلى الحكم أربعة مرات، اقتصر منصب الباشا على العنصر التركي العثماني. ويمكن استنباط ذلك من خلال اسمائهم مثل: بورصالي محمد باشا[5]. تميزت فترة حكم الباشوات بـ:

1. الفوضى وعدم الاستقرار فالباشاوات المعينين لمدة ثلاث سنوات تمكن القليل منهم من إتمام عهدته فأحيانا يضطرون للهروب بعد صراع مع الأوجاق أو طائفة الرياس.

---

[2]-عائشة غطاس، الدولة الجزائرية الحديثة، مرجع سابق، ص47.

[3]- المرجع نفسه، ص47

[4]- أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة، مرجع سابق، ص 385.

[5]- عائشة غطاس، الدولة الجزائرية الحديثة، مرجع سابق، ص49.

2. تسبب التغير في النظام السياسي وتعيين الباشاوات ثلاثي السنوات الذين لا يملكون السلطة وهمهم جمع الأموال في أن أفراد الأوجاق حاولوا الاستيلاء على السلطة الفعلية ونزعها من الباشاوات.
3. مهمة الباشا تتمثل في دفع أجور الانكشارية، وإذا عجز يثورون ضده ويزج في السجن، وإذا عين باشا متسلط فالانكشارية تقيله من منصبه كما حدث في 1633م بعدما سجن الشيخ حسين واستلم الديوان زمام الأمور.
4. استمر الأوجاق في القضاء على صلاحيات الباشا فنزعت منه مهمة دفع أجور الانكشارية التي منحت لرئيس طائفة الرياس علي بتشين.
5. لم يقتصر عهد الباشاوات على الصراع على السلطة بين الأوجاق والباشا وإنما تجاوز ذلك للتأثير على الجوانب الاجتماعية، فالباشا الذي لايمكث في الإيالة سوى ثلاث سنوات لا تكفيه هذه المدة لفهم تعقيدات الحياة السياسية والقضايا المطروحة في الإيالة وبمجرد أن تنقص أموال الخزينة، يلجئ الباشوات إلى فرض الضرائبعلى المدن والأرياف مثلما حدث في عهد يوسف باشا مما يفتح المجال أمام التمردات في منطقة القبائل الذين رفضوا دفع الضرائب في عهد خضر باشا(1589-1592).
6. ثار الكراغلة لأول مرة في عهد الباشوات سنة 1629مبسبب سياسة الإقصاء التي انتهجتها السلطة، فإذا كانت فترة البايلربايات قد فتحت أبوابها لكل العناصر والشرط الوحيد هو القدرة والخبرة، فإن عهد الباشوات عرف طغيان العنصر العثماني وحده.
7. الاعتداءات الأوروبية ففي عهد محمد كوسة باشا(1603-1605) تعرضت منطقة أزفون لهجوم إسباني، وفي 1607م هاجم الطوسكان عنابة، وفي 1610م هاجم الاسبان جيجل، وفي عهد أحمد باشا (1653-1655م) عقد الديوان اتفاقية مع انجلترا.

رغم الفوضي الدخلية والاطماع الأوربيةفإن السلطان واصل طلب المساعدة من بحارة الجزائر في 1639م عندما دخلت الدولة العثمانية في حرب ضد البنادقةفذهب الأسطول الجزائري بقيادة على بتشين، وبسبب حدوث عواصف بحرية لجأ الأسطول إلى خليج فالونا، فهاجمهم البنادقة والحقوا به خسائر معتبرة وتمكن على بتشين من انقاذ بعض المراكب بصعوبه. كانت هذه الحادثة منعرجا حاسما في تاريخ العلاقات بين الباب العالي وبحارة الجزائر، فالسلطان رفض تعويض بحارة الجزائر ليتمكنوا من إعادة بياء الأسطول فقد قرر هؤلاء عدم المشاركة مستقبلا في مساعدة السلطان في حروبه إلا إذا ضمن التعويض عن الخسائر[6].

3-مرحلة الآغوات (1659-1671م):

[6]- عائشة غطاس،الدولة الجزائرية الحديثة، مرجع سابق، ص52.

في عام 1659م قرر الجند حسم الصراع القائم بينهم وبين الولاة العثمانيين أي الباشوات حيث قرر الديوان إلغاء منصب الباشا واسناد السلطة إلى الآغا، وقد كانت سياسة الباشا إبراهيم[7] سببا مباشرا في ثورة الجند حيث قام بـ:

1. امتناعه عن تسديد أجور الجند.
2. اقتطاع مبلغ من المكافأة الموجهة لطائفة الرياس من قبل السلطان. جعل المؤسسة العسكرية بشقيها تثور عليه وتقرر إلغاء منصب الباشوية.

زج الجند بإبراهيم باشا في السجن، أرسل السلطان الباشا علي ليتسلم مهامه لكنه وجد وضعا سياسيا صعبا للغاية بسبب عصيان الجند ضد أي مظهر لتبعية السلطان فألقوا عليه القبض رفقة من معه ووضعوهم على متن سفينة وعاد من حيث أتى.

3-1-موقف الدوله العثمانية من الآغوات:

بعد وصول الباشا علي إلى إزمير كتب تقريرا بالأحداث التي تعرض لها في الجزائر، فغضب الصدر الأعظم "كوبرلو محمد باشا" فستدعى الباشا من إزمير وأمر بقتله، كما أرسل فرمانا يخبرهم فيه " **أخيرالن نرسل إليكم واليا، بايعوا من تريدون، السلطان ليس بحاجة إلى عبوديتكم، لدينا آلاف الممالك مثل الجزائر، فالجزائر إن كانت وإن لم تكن شيء واحد، ومن بعد ذلك إن اقتربتم من الممالك العثمانية فلن تكونوا راضين**"، كما أرسل فرمانا آخر إلى البحارة في جميع السواحل العثمانية، وإلى والي مصر وشريف مكة يطلب منهم منع الجزائريين من الذهاب إلى الحج وعدم بيع السلاح لهم وعدم السماح لهم بالاقتراب من السواحل العثمانية.

لم يقبل الصدر الاعظم ندم الجزائريين وطلبهم المغفرة، وعقب وفاته عين إبنه فاضل أحمد باشا صدرا أعظم، فأرسل الجزائريون هدايا فعفى عنهم بعد أن تعهد الجزائريين أن يلتزموا بأوامره، وأرسل باشا جديد للجزائر 1661م، قبل الجزائريون به وخرجوا لاستقباله، "**وسلموه إدارة خاصة به لكنهم قرروا أن الأحداث الأساسية والإدارة الفعلية بيد آغاهم**"[8]. وهذا ماجعل النظام السياسي يتميز بالإزدواجية من الناحية النظرية أما في الواقع فقد كانت السلطة الفعلية بيد الآغوات.

-أوضاع إيالة الجزائر تحت حكم الآغوات:

---

[7]- تولى الباشا ابراهيم السلطة في الفترة الممتدة مابين 1656-1659م.

[8]- عزيز سامح الترا، الأتراكالعثمانيون، مرجع سابق، ص 388.

لم يبق حامل لواء الثورة خليل آغا في سدة الحكم سوى سنة واحدة، وكانت نهايته الاغتيال عام 1660م وخلفه الآغا رمضان الذي بادر إلى إعادة العلاقات مع الباب العالي، ولم ينجح هو الآخر في الاستمرار في السلطة إذ لقي حتفه على يد الجند عام 1661م، ذلك تولي السلطة الآغا شعبان الذي استطاع أن يمدد عهدته إلى نحو أربع سنوات، كانت نهايته الاغتيال على يد الجند عام 1665م، وخلفه الحاج علي آغا الذي كان يهدف إلى وضع حد للفوضى ولعصيان الجند وقد نجح في فرض كلمته على الجند وعلى ممثل السلطان على حد سواء، مما سمح له بالبقاء في السلطة نحو ست سنوات1665-1671م[9].وتميزت الأوضاع في فترة الآغوات بـ:

1. السمة البارزة التي ميزت عهد الجمهورية العسكرية هي عدم الاستقرار وتوالي اغتيال الحكام إذ لم ينج حاكم واحد من النهاية الدموية.
2. أراد الآغوات وضع نظام يقوم على أساس المساواة بحيث فسحوا المجال أمام الآغوات لتولي منصب الآغا لمدة شهرين، لكن الآغوات الذين تم انتخابهم خالفوا شرط البقاء لمدة شهريين فقط.
3. شبت عدة ثورات ضدهم في عدة جهات وخاصة حول العاصمة وبلاد القبائل عام 1668م.[10]
4. في الميدان الخارجي حاول ديوان الأوجاق أن يحسن علاقاته مع فرنسا ولكنها أعرضت عن ذلك وواصل القراصنة الفرنسيون اعتداءاتهم على السفن والمراكب الجزائرية في البحر، كما تميز عهد الآغوات بحروب ضد الإنجليز والإسبان والهولنديين، فصالح الآغوات الهولنديين سنة1663م، لتحارب الفرنسيين وصالحوا فرنسا ليحاربوا الانجليز والهولنديين، وفي عام 1671م صالحوا الانجليز ليعود للحرب ضد فرنسا.[11]

أثرت الهجومات المتوالية التي شنها الأوربيون على الجزائر أواخر عهد الآغواتعلى الوضع الداخلي للبلادوعلى السلطة نفسها، فقد فقدت البلاد كثيرا من سفنها التجارية، وتأثرت طائفة الرياس بصفة خاصة لأنها هي التي تضررت أكثر من غيرها باعتبار أنها مالكة الأسطول والمراكز البحرية ومن أجل ذلك تآمر الرياس على آخر الآغوات علي آغا، وقتلوه أوائل عام 1671م، وتشكل وفاته منعرجا في الحياة السياسية إذ شهد قصر الجنينة حالة من الفوضى، ورفض عدد آخر من الآغوات قبول هذا المنصب باعتبار أنه يؤدي إلى نفس المصير الذي وقع فيه علي آغا، وإذا بها تتحول إلى انقلاب

---

[9]- عائشة غطاس،الدولة الجزائرية الحديثة، مرجع سابق، ص53-54.

[10]- يحي بوعزيز، **الموجز في تاريخ الجزائر، الجزء الثاني الجزائر الحديثة**، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ص44

[11]- برغم من أن فرنسا اضطرت إلى مفاوضه الجزائر وامضاء اتفاقية 7ماي 1666م التي نصت على تطبيق اتفاقية 1628م، واطلاق الأثرى من الجانبين، بعدها حدث هذوء نسبي بين البلدين. ينظر: يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص44.

جدري في أسس السلطة العليا. إذ استعملت طائفة الرياس الحادثة وانتزعت السلطة من المسؤول الرئيسي وإتفقت مع الديوان الذي تمثل الأغلبية داخله على الغاء نظام الآغوات.[12]

4-مرحلة الدايات(1671-1830م):

أخفق قادة الجيش (الآغوات)—كما سبق وأشرنا-في إرساء قواعد نظام جديد يحققون من خلاله الإستقرار في النظام السياسي في الإيالة، إذ شهد عهدهم فوضى والاضطربات، وبعد تجربة الجمهورية العسكرية الفاشلة آلت السلطة إلى طائفة رياس القوة المنافسة للإنكشارية، التي أسست لنظام جديد عرف بإسم"**الداي**"ومن معاني هذه الكلمة في التركية : الخال والعراب والسيد، وكذلك الشجاع والبطل.

إنّ هذا المصطلح الذي يطلق عادة للتعبير على الاحترام والمودة اتجاه كبار السنّ. أطلق أيضًا على قادة السفن، كما أطلق على وكلاء إيالة الجزائر المكلفين بتجنيد المتطوعين من الولايات العثمانية[13]، ويتفق المؤرخون أنّ "الجزائريين" استعاروا هذا "النظام" من جيرانهم في طرابلس وتونس[14].يقول خليفة حمّاش بهذا الصدد : " أمّا من الناحية الإدارية فإنّ اللفظة لم تكن ترتبط بأية وظيفة رسمية في نظام الحكم العثماني، وكانت مثلها مثل لفظة "ألب" تطلق عند الأتراك القدماء كلقب للرجل الشجاع".[15]

4-1-شروط تولي منصب الداي:بعد أن اتفق اعضاءالديوان على الغاء نظام الآغوات وتعويضه بنظام أكثر استقرار ولضمان ذلك وضعوا شروط هي:

- يعين الداي في منصب حاكم الجزائر طوال حياته.
- ألا يكون له الحق في تعيين من يخلفه، وإنما يكون ذلك من حق مجلس الديوان مما جعل النظام يخالف الملكية الوراثية.
- الإبقاء على منصب الباشا شرفي مدة من الزمن بحيث يعين الباب العالي باشا يكون إلى جانب الداي ولكنه لا يحكم وليس له أي نفوذ ثم سرعان ما قاوم الدايات هذه الازدواجية، وأصبح الداي هو نفسه الباشا[16]-كما سيأتي ذكره فيها بعد-

4-2-الدايات الأوائل (1671- 1711م):

---

[12]- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص46.

[13]- خليفة حمّاش، مرجع سابق، ص. 170.

[14]- عزيز سامح التر، الأتراكالعثمانيون، مرجع سابق، ص 405

[15] - خليفة حماش، المرجع السابق، ص 46.

[16]- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص46.

تعرف (**بفترة الحكم المزدوج**) وهي الفترة التي حكم فيها الداي إلى جانب الباشا، هذا الأخير كان وجوده شكليًا.أول الداي الحاج محمد التريكي (1671- 1682م)، ولد بالجزائر قبل نهاية القرن السادس عشر من "مرتد"هولندي، وعمل قبل أن يصبح دايًا قبطانًا لمدة خمسين سنة، حيث كان أحد رياس البحر المشهورين. لم تكن نهايته نهاية مأسوية مثلماكان في عهد الدايات بل إعتزل السلطة. تولي بعدهالداي بابا حسن (1682- 1683م)المؤَكِّد أنّ بابا حسن كان له تأثير كبير في حكم الجزائر، منذ تكون نظام الدايات، قال جون وولف : "وكان بابا حسن رجلا ذكيًا وسياسيًا ماهرًا[17]"، لم يدم حكمه إلا سنة، انتهت بقتله من طرف أحد رياس البحر يدعى حسين ميزومورطو[18](1683-1686م) الذي تولي منصب الدي بعده.في سنة 1690م، فرّ حسين ميزومورطو عن طريق البحر إلى شرشال ثم اسطمبول، بعد مواجهته للكثير من الأخطار، كانت آخرها عملية تمرّد قام بها الإنكشارية، تولى بعده الداي الحاج شعبان خوجة (1690- 1695م) يُعدُ من أبرز دايات الجزائر، بعد تزعمه للتمرّد الذي تخلّص فيه من حسين ميزومورطو، عُيّن دايا في 24 ذي الحجة 1101هـ (28 سبتمبر 1690م). يعد أحد الدايات الذين نجحوا في فرض مكانة الجزائر الدولية، وعلى الرغم مما حققه على المستوى الداخلي والخارجي، فأنه لم ينجح من غضب الجند الذين اغتالوه عام 1695م.[19]

تولى الحكم الحاج أحمد(1695-1698م)، وهو آغا قديم، معروف تحت اسم الأجة أحمد. حسب بعض الروايات فقد اختاره الجنود دايا بعد أن وجدوه جالسا في مدخل داره، يصلح الأحذية، فحملوه إلى الديوان أين قبل بكل شروطهمحكم الحاج أحمد ثلاث سنوات ومات بعد مرض طويل.

خلفه الداي بابا حسن (1697-1700م) يعرف كذلكباسم حسين باش شاوش قارة برلي، تخلى عن منصبه إثر هجوم مراد باي تونس على قسنطينة، وثورة الإنكشارية، وسمح له الديوان بمغادرة الجزائرفتوجه إلى طربلسومنها إلى مصر[20].تولي بعده الداي الحاج مصطفى (1700-1705م)كان أغا للصبايحية.[21]

الداي محمد خوجة باكداش(1707-1709م)من الدايات القلائل إن لم نقل الوحيد، الذي تناولته أقلام علماء ذلك العصر، بإسهاب بين نثر وشعر، تمدحه وتعدّد خصاله وتسرد سيرته، صورته كتابات هؤلاء على أنّه رجل سيف

---

[17]- وولف جون،الجزائر وأوروبا،مرجع سابق، ص 144.

[18]- ميزومورطو : قيل أنّها كلمة إيطالية معناها نصف ميت، لُقِّب بذلك لأنّه أصيب أثناء شبابه بثمانية عشر جرحًا، حتى ظنوه ميّتًا، فرموه في البحر، ومن ثم تمكن من إنقاذ نفسه، ينظر : عزيز سامح التر، مرجع سابق، ص. 424، وقيل معناها نصف ميت بالإيطالية وذلك لبتر يده اليسرى في الحرب، ينظر: عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج.3، ط.7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م، ص. 193.

[19]- عائشة غطاس،الدولة الجزائرية الحديثة، مرجع سابق، ص56

[20]- المرجع نفسه، ص56

[21]- عزيز سامح التر، مرجع سابق، ص 452.

وقلم يحمل كل صفات النبل والكمال.واجه الديات الأوائل عدة ضغوط أضعفت طائفه الرياس وسمحت للجند بالتدخل ثانية في الحياة السياسية، فكل الدايات الذين تولوا بعد حسين ميزمورتو كانوا إما من الجند، كما وجه الديات الأوائل مشاكلمتمثلة أساسا في ازدواجية السلطة، توتر العلاقات الخارجية وتمردات الجند المستمرة.[22]

4-3-مرحلة الإنفراد بالحكم (1711م- 1830م) :

خلال هذه الفترة انفرد "الداي" بالحكم، حيث توقف الباب العالي عن إرسال ممثلين عنه من إستانبول، واكتفى بترسيم مرشّح الجيش الإنكشاري. وأول ديات هذه المرحلة الداي **علي سُوكَلي (المعلول علي شاوش)**[23] (1710-1718م) يتضح من اسمه أنّه كان يعمل شاوشا، استطاع هذا الداي أن يجمع بين منصبي باشا ودايتُعدُ فترة حكم علي سُوكَلي علامة فارقة في عهد الدايات، حيث أصبح الحكم أكثر استقلالية عن الباب العالي. بادر بعد تولي منصب الداي إلى الغاء منصب الباشا ممثل السلطان حتي يضع حدا نهائيا لازدواجية السلطة فعندما الباشا إبراهيم شركانباجزائر عارض استقباله ولم يقدر الواي العثماني على فرض هيبة السلطان. وأرغم الباشا ابراهيم علي الانسحاب للقل ليموت هناك.[24]

4-4-موقف الدولة العثمانية من إلغاء منصب الباشا في الجزائر وأبرز الدايات:

نجح علي شاوش في إقناع السلطان أحمد الثالث بمساوئ ازدواجية السلطة، إن قوة الحجة لدى علي شاوش مع الهدايا الفاخرة أقنعت السلطان بوجهة نظره ومنذئذ أقر السلطان الأمر الواقع وأضحى حكام الجزائر يجمعون بين منصب أمير الأمراء والداي وغذا يستعمل في الفرمان الوارد من اسطنبول: " **إلى أمير أمراء الجزائر ودايها**.."[25]إن الجمع بين السلطتين واللقبين أكسب الديات نفوذا فضعف نفوذ ديوان الجزائر، فالداي علي شاوش فرض كلمته على مؤسسة الديوان حيث سار الديوان على ماأوصى به فلما أصابه المرض أوصى بأن يخلفه أحد وزرائه. وهو **الداي محمد** (1718-1724م) هو محمد بن حسن أفندي، خزناجي الداي السابق، تم اختياره دايا ليلة وفاة الداي علي، تولى الحكم في إحدى أحلك الفترات التي مرّت بها الإيالة، ويعد هذا القرار بمثابة خطوة حاسمة في سبل وضع دعائم نظام سياسي بمنأى عن هيمنه الجند، أصبح تعيين الدايات يتم ضمن الوزراء، وسار الداي محمد علي النهج الذي رسمه سلفه حيث عارض كل محاولات الباب العالي في التدخل في شؤون الجزائر.[26]

---

[22]-عائشة غطاس، الدولة الجزائرية الحديثة، مرجع سابق، ص56.

[23] - عزيز سامح التر، مرجع سابق، ص462.

[24]- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص47.

[25]- عزيز سامح التر، مرجع سابق، ص463.

[26]- عائشة غطاس، الدولة الجزائرية الحديثة، مرجع سابق، ص58.

وفي أعقاب وفاته أسندت السلطة **للداي كرد عبدي** (1724-1732م) الذي شغل منصب آغا العرب وباي بايليك التيطري، وقد عمل هو أيضا على التمسك بمبدأ الاستقلال عن الباب العالى فرفض وساطتها من أجل ابرام الصلح مع اسبانيا عام1725م.

- **الداي إبراهيم أفندي** (1732-1745م) هو إبراهيم بن رمضان، خزناجي الداي السابق، وصهره[27]، تولى مهامه كداي لفترة تعد الأطول منذ نشوء هذا المنصب إلى تاريخ تعيينه.إثره بجمع الديوان وأعلن أنّ صحته وسنّة لم يعودا يسمحان له بممارسة عمله، كما رجاهم أن يقبلوا ابن أخيه الخزناجي، حاكما مكانه، وبالفعل تم له ما أراد.توفي بعد تسعة وعشرين يوما من تخليه عن الحكم (17 نوفمبر 1745م) ، ودفن بالقرب من عبدي باشا، في المقبرة القريبة من القصر، أي أنّه حكم ثلاث عشرة سنة ونصف السنة.

إرتقى بعده **الداي إبراهيم خوجة** (1745-1748م) معروف في الكتب بإبراهيم كوجوك أو كوتشوك[28]، اقترح تعيينه عمه الداي السابق بدلا عنه، عن عمر يناهز خمسًا وأربعين سنة، لم يكن خزناجيًا فقط بل أيضًا قائدا للجيوش التي كان يرسلها عمه إلى مختلف مناطق المجابهاتدام حكمه ثلاث سنوات، أحرز هو الآخر على لقب الباشا.

تولى الحكم بعده **الداي محمد بن بكر** (1748-1754م).ولكن رغم ما اشتهر به هذا الداي من العدل وفرضه للنظام، فإنّه قُتل في صباح 11 ديسمبر من سنة 1754م، أثناء توزيع مرتبات الجند.

عين بعده **الداي علي نقسيس** (1754-1766م) قال عنه أحمد الشريف الزهار: "لما مرض علي باشا الملقِّب ببوصباع، نادى وزراءه وجمعهم، وهم : الخزناجي واغة العرب، وخوجة الخيل، ووكيل الحرج بباب الجهاد، ووكيل بيت مال المسلمين، وأوصاهم بولاية محمد باشا.

تولى بعده **الداي محمد بن عثمان خوجة** (1766-1791م) أصله من قرمان،قال عنه أحمد الشريف الزهار: "وكان -رحمه الله- مؤثرًا للعدل والإنصاف ؛ عارفا بقوانين الملك ملتزما لأحكام الشريعة المطهرة. وكان يحب الجهاد، ووقعت في أيامه حروب كثيرة، ورزقه الله النّصر في جميع حروبه،..."[29]. مات هذا الداي، في سن متقدمة، بعد حكم طويل، وإثر مرض قصير.

نلاحظ أنه إبتداء من العقد الثاني من القرن الثامن عشر عرف نظام الدايات استقرار واضحا وهو ما نلمسه في طريقة انتخاب الداي كما نلمسه أيضا في مدة الولاية إذ تعاقب علي السلطة خلال مائة وعشرون عاما 1710-

---

[27]- حسب عزيز سامح التر، هو والد زوجة الداي السابق، ينظر : المرجع السابق، ص. 484.

[28]- أي الصغير، وهذا لتمييزه عن عمه الداي السابق، الذي يحمل الاسم نفسه ، والرسم الصحيح لهذه الصّفة في العثمانية، هو كوچك.وفي قائمة ولاة الجزائرالتي أوردها عزيز سامح التر في كتابه، نجد هذا الداي يحمل اسم رودس جوكلو إبراهيم، ينظر : المرجع السابق، ص. 663.

[29]- أحمد شريف الزهار، مصدر سابق، ص23.

1830م سبعة عشر دايا وبلغ وسطي معدل البقاء في السلطة ثماني سنوات وهو مؤشر على استقرار القرن الثامن عشر إلى أواخر التسعنات من القرن نفسه1710 -1791م.

تولي **الداي سيدي حسن**(1791-1798م) الحكم ودامت ولايته سبع سنوات يمكن تلخيص ما كتب حول شخصية هذا الداي، في العبارات التي أوردها احمد الشريف الزهار بخصوصه، قال عنه: "كان عارفا، عاقلاً وله فطانة في الأمور. غير أنّه في بعض الأحيان كان يعتريه الحمق حتّى يفعل أمورًا لا تصادف محلاً "[30].من سيرة هذا الداي يجد أحداثًا هامة وقعت أثناء حكمه مثل إتمام تحرير وهران، وإقراض فرنسا مبالغ هامة أثناء أزمتها دون فوائد. كانت وفاته طبيعية إلا أن فترة حكمه تميزت بعد الاستقرار إذ عاد الجند إلى سابق عهدهم إلى العصيان والتمردوأضحو يعينون ويعزلون الحكام.

ويبدو جليا ابتداء من عهد **الداي مصطفى** (1798-1805) الذي يعتبر من الدايات المشهورين في تاريخ الإيالة تعود شهرته لعدة أسباب منها الأحداث التي عرفتها الإيالة أثناء حكمه، محليًا وخارجيًا،عمل بوظائف متواضعة جدًا، قبل أن يترقى إلى رتبة خزناجي. عرفت الإيالة أثناء حكمه، أشهر الثورات المحلية، كما تعرّض لعدة محاولات اغتيال نجا منها ، ليُقتل في الأخير على إثر الثورة التي قامت ضد اليهود، فرغم التنازلات التي قدّمها لأجل النجاة بنفسه، كاستباحة المدينة أمام المتمردين، انتهى بخنقه وجرّ جثته في شوارع المدينة ليُرمى به أمام باب عزّون.

جاء بعده **الداي أحمد خوجة** (1805-1808م)هو من قاد التمرّد ضد الداي السابق، وكان هذا الأخير قد عزله من منصبهككاتب من بين الكتاب الأربعة، أو الدفتر دار[31].أبدى حمدان بن عثمان خوجة استياءً كبيرًا من هذا الداي، حيث لم يتقبل قتله للداي مصطفى، كما كتب : "لقد ارتكب هذا الرجل، أثناء ولايته، عددا من الجرائم..."[32].

تولي **الداي علي خوجة الغسّال** (1808-1809م)كانت مدة حكم هذا الداي قصيرة، أربعة أشهر، بدأت بقضائه على موظفي سلفه، وانتهت بفوضى وفتنة، حيث أنّه وبعد عدم تمكّنه من دفع رواتب الجند سمح لهم بنهب المدينة، لكن قسم آخر من الجند بمعية السكان تصدّوا لهذه الفكرة، وانتهى الأمر بتغلّب القسم الثاني، وإجماعهم على قتل الداي، فعرضوا عليه تسميم نفسه لكنه رفض لأسباب دينية، فقاموا بخنقه.

---

[30]- عزيز سامح التر، مرجع سابق، ص 61.

[31] - أحمد الشريف الزهار، مصدر سابق، ص. 88، 89.

[32]- المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق : محمد العربي الزبيري، ط.2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م،ص. 150.

بعد حكم **الداي علي خوجة شريف**[33] (1809-1815م)أو الحاج علي باشا أماسيالي، نسبة إلى مدينة أماسيا بالأناضول التي ولد بها. عمل قبل توليه كخوجة للخيل[34]، وكان يلبس عمامة خضراء، للدلالة على أنّه من الأشراف. بعد مقتل الداي السابق.انتهت فترة حكمه 1815م بطريقة مأساوية.

وتولي**الداي الحاج محمد** (1815م) : رجل مسن، كان يعمل خزناجيًا. قال عنه حمدان خوجة : " ... واستبدل بخزناجيه المسمى الحاج محمد باشا. ويعتبر هذا الأخير نموذجًا حقيقيا للأتراك القدماء، إذ كان رجلا فاضلاً، وكان من الممكن أن يحكم مدة أطول لو لم يتعرّض لخيانة آغاه المسمى عمر"[35].قتل هذا الداي على أكثر تقدير بعد سبعة عشريومًا من حكمه.

عين **الداي عمر آغا** (1815-1817م) ينحدر من أصل يوناني اعتنق الإسلام. تولى الحكم في الثالثة والأربعين من العمر، وكان قد وصل إلى الجزائر قبل ذلك بعشر سنوات، رفقه أخيه[36]، حيث جال في البلاد وعرف خباياها إلى أن عين آغا.

والداي حسين (1818-1830م) الذي شهدت البلاد في عهده استقرارا سياسيا دامت ولايته اثنا عشرة سنة[37].

---

[33]-ذكر شالر أنّه كان يُلقب بالنمر، بسبب ما أشتهر عنه من القسوة، للاطلاع أكثر ينظر : شالر وليام: **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)**، تعريب: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.ص. 162.

[34]- أحمد الشريف الزهار، مصدر سابق، ص 105.

[35]- مصدر نفسه، ص 152.

[36]- تمتع أخوه هذا بالكفاءة مما جعله يتبوأ منصبًا رفيعًا في المقاطعة الشرقية، لكنه قتل بأمر من أحمد باشا، ينظر :شالر، المصدر السابق، ص. 162.

[37]- عائشة غطاس،الدولة الجزائرية الحديثة، مرجع سابق، ص60.